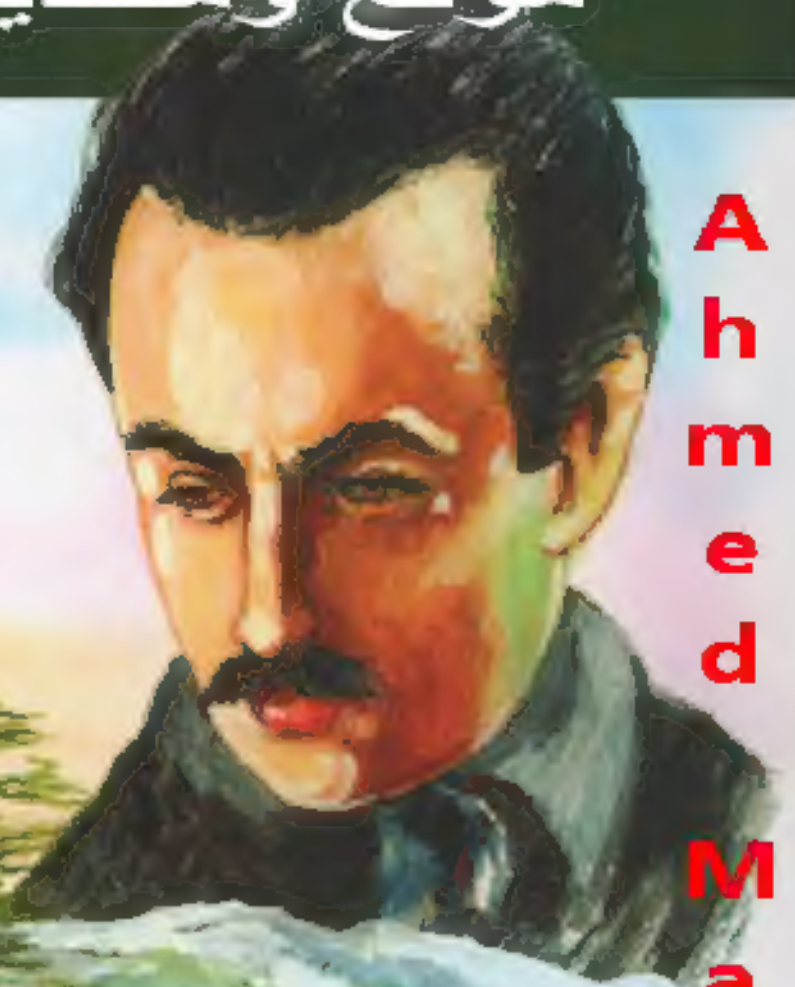


عز الدين الروح

موقع ومنتديات مكتبتنا

تقديم وتعريف
د. جميل جبر
مُبيح ومُشوح ومُداخلة
سامي ج. الكنوري



A
h
m
e
d
M
a
d
y

دار الجيد

تُعتبر مؤلفات جبران، سواء العربية منها أو المعربة، من الكتب التي كلما قرأتها وجدت فيها شيئاً جديداً. تستهوي المبتدئ الناشئ لما في أسلوبها من جدّة وصرافة ونغم، كما تستهوي المثقّف المتعلّم لما في مضمونها من عمق وعرض لأعقد المشكلات الإنسانية. وكلّما رقي الفكر في سلّم النضوج وجد في هذه الكتب ما يترجم توقّه ويعبّر عن مكنوناته. لذلك حرصنا على إخراج هذه الطبعة الجديدة من مؤلفات جبران لتكون في متناول المبتدئ الناشئ والمثقّف المتعلّم. فضبطنا النصوص ضبطاً شبيهاً كاملاً، وفسّرنا من المفردات والتعابير ما هو بحاجة إلى تفسير، وأضأنا غوامض التعابير والصور، وكشفتنا بعض جوانب التفكير الجبراني عبّر مدخلات سريعة مركّزة، كما صدّرنا كلّ كتاب بموجز عن حياة جبران وتعريف مُسهب بالكتاب، وختمناه بمجموعة من الأسئلة من شأنها أن تخلق حواراً مبدعاً خلافاً بين المعلّم والمطلّع.

نأمل أن تكون قد أقينا لأدب الجبرانية جريب
العربي جزءاً من واجب في مسيرة رسالتنا

الناشر

ISBN 9953-78-133-8



9 789953 781334



Sun
2/1/2010
Riyadh

AM
24-12-2003
Thursdays
Riyadh
Saudi

ع
عمر السنين المروج

تَقْدِيمٌ وَتَعْرِيفٌ

در جمیع جہات

ضَبْطٌ وَشَرْحٌ وَمُدَاخَلَةٌ

سامی ج. انخوری



وَالْأَرْجَمِ

بَـرَوْتُ

فکینا

جبران خليل جبران في سيرته

نشأة جبران

ولد جبران في بشرى، في ظلال الأرز، صباح السادس من كانون الثاني سنة ١٨٨٣. ونشأ في كنف عائلة محافظة، يسمع شتاء، حول الموقد، حكايات البطولة، والأساطير على إيقاع العواصف، ويسرح صيفاً مع الرعاة في الغاب.

في الخامسة من عمره دخل مدرسة إليشاع، «مدرسة تحت السنديانة» حيث تعلّم مبادئ العربية والفرنسية والسريانية. وفي أيام العطلة تردّد إلى مركز رهبان طليان ينعم نظره عندهم بروائع عصر النهضة الإيطالية، فيحاول نسخها على هواه.

عُرف في المدرسة بقوة الشخصية وحدة الذكاء، والنزعة إلى الحلم، والتمرد على النظام.

كان والده جابياً لضريبة الماعز في الجرود، اتهم بالاختلاس فقبض عليه. وأحدثت هذه الحادثة صدمة عنيفة في نفس الفتى الشديد الطموح.

دفعاً للعار اضطرت الأم، كاملة رحمه، أن تسافر مع ابنها بطرس (من زوجها الأول) وجبران وابنتيها سلطانة ومريانا إلى بوسطن، حيث لها بعض الأصدقاء. وهناك دخل جبران مدرسة شعبية تعلم فيها أصول الإنكليزية، فاسترعى اهتمام معلمته الأميركية باجتهاده وبميله إلى الرسم، فأوصت به فريد هولاند داي الذي كان يرعى بعنايته الموهوبين فنياً، فساعده هذا على دراسة تقنية الرسم، ومكّنه من مواصلة تعلم الإنكليزية.

في معهد الحكمة

رغم التفوق الذي أحرزه جبران في درس الإنكليزية والرسم، ظلّ يحنّ إلى لبنان، مربع طفولته، ويتوق إلى إكمال تحصيله في العربية، لغة بلاده، فتحقق حلمه بعد سنوات ثلاث.

في لبنان سجّل جبران اسمه في معهد «الحكمة» في بيروت، وكان بين رفقاءه النحات يوسف الحويّك. وهناك وسّع معرفته بلغة الضاد طوال ثلاثة أعوام، اضطر بعدها إلى الرجوع إلى بوسطن.

في بوسطن بمواجهة الموت

في بوسطن شهد جبران فجيعة أمه بأخته سلطنة
ومرضها هي وبطرس بالسل. وكانت تعزيه في مأساته
فتاة شاعرة أحبها قبل أن يعود إلى لبنان، هي جوزفين
بيودي.

لما مات أخوه وماتت بعده أمه، استولى الحزن
والياس عليه فعبر عن ضراوة ألمه بهذه العبارة:
«فقدت ينبوع الحنو والرأفة والغفران والصدر الذي
أسند إليه رأسي واليد التي تباركني وتحرسني».

لكن قساوة القدر ما لبثت أن حفزت جبران
على الانطلاق في عالم التصوير، فأقام معرضه الأول
بنجاح، والتقى امرأة كان لها دورها الحاسم في
توجيهه الأدبي والفني هي ماري هاسكل. فقد
أعجبت هذه برسومه إعجاباً جعلها تدعوه إلى عرضها
في المدرسة التي كانت تديرها.

غابت عنه جوزفين فحلت فتاة أخرى محلها في
قلبه هي إملي ميتشل، (ميشلين)، المدرسة بإمرة
ماري هاسكل التي كانت تكبر جبران بعشر سنوات.
لكن ميشلين لم تدم طويلاً عروس أحلامه.

البداية الأدبية

في مطلع سنة ١٩٠٤ التقى جبران أمين الغريب الذي كان قد أنشأ جريدة «المهاجر» فأطلعه على بعض خواطره ورسومه فأعجب بها هذا إعجاباً شديداً وعرض أن ينشرها. وفي آذار من تلك السنة ظهر أول مقال لجبران عنوانه «رؤيا» كان له صده البليغ لدى القراء من حيث طرافة النهج والخيال المبتعث.

وتشجع جبران فنشر سلسلة مقالات وجدانية في «المهاجر» تحت عنوان «رسائل النار»، ظهر معظمها فيما بعد في «دمعة وإبتسامة». ثم أصدر بعد سنة مقالا طويلاً عنوانه «الموسيقى».

مضى جبران يكتب ويرسم لا يكل ولا يمل وشعاره: «لا أريد أن أكتب اسمي بماء على سفر الوجود بل بأحرف من نار».

استهواه الفن القصصي فأصدر مجموعتين، الأولى «عرائس المروج»، والثانية «الأرواح المتمردة»، عبّر فيهما عن ثورته على المجتمع الإقطاعي المتحجر المستعبد، وعن سمو الحب الذي يأبى أن يُقيدَ تقاليد عقيمة في نظره.

في هذه الأثناء أقام معرضاً عزّز شهرته كرسّام في أوساط بوسطن، لكنه كان يطمح إلى شهرة عالمية، فأعرب عن رغبته في دراسة أصول الرسم في باريس إلى ماري هاسكل التي كانت تسخو عليه بحنانها، ولا تضرّ عليه بالمساعدة المادية، فلبّيت مشيئته، وإذا هو سنة ١٩٠٨ في العاصمة الفرنسية يعلّل النفس بالآمال العظيمة.

في باريس

كانت باريس المركز العالمي الأول للفنون الجميلة عهدذاك، يجيئها الرسّامون من كل بلد، ليعرضوا نتاجهم في قاعاتها، والناشئون لاستكمال تحصيلهم الفني في جامعاتها.

في مدينة النور تردّد جبران إلى أكاديمية جوليان، وإلى المتاحف والمعارض والمكتبات والتقى رفيقه في الدراسة النحات يوسف الحويك.

كانت المرحلة الباريسية محطة بارزة في حياته فتحت له آفاقاً جديدة. لكن نجاحه الباهر في العاصمة الفرنسية لم ينسه لبنان، فظلّ يحنّ إليه ويتذكّره فيرى في أحلامه «الشمس طالعة من وراء

صنّين، أو جانحة إلى الغروب وقد رشّحت الطلّول
والأودية بنقاب أحمر كأنها تذرّف على فراق لبنان
الدماء بدلاً من الدموع».

كان لكتابات جبران أثرها البارز في أوساط الناشئة
اللبنانية التواقّة إلى التحرّر والإبداع الجمالي. إلا أنها
أثارت عليه نقمة المحافظين ورجال الدين والإقطاع.

بعد أن قضى جبران سنتين كاملتين في باريس
أراد أن يكلّل إقامته فيها بالاشتراك في المعرض الذي
تنظّمه في الربيع، الجمعية الوطنية للفنون الجميلة.
فقدّم بعض لوحاته فاخترت إحداها، وكانت نشوة
الفنان تتجاوز كلّ وصف.

في نيويورك

بعد باريس بدت بوسطن لجبران ضيقة الآفاق.
وكان أمين الريحاني الذي التقاه في باريس وقضى معه
شهرًا في لندن، قد دعاه إلى نيويورك. تردّد في البدء
لأن في بوسطن أخته مريانا الوحيدة الباقية من عائلته،
ولأن فيها ماري هاسكل وقد تحوّلت الصداقة بينهما
إلى حبّ، لكنه استطاع أن يطمئن الحبيبتين بأنه إن
ابتعد عنهما بجسده فإنه سيبقى بقربهما قلباً وروحاً،
والمسافة بين بوسطن ونيويورك ليست بعيدة.

وفُيُض لَجبران أن يقضي منذ سنة ١٩١١ كل حياته في نيويورك.

في سنة ١٩١٢ نشر جبران روايته «الأجنحة المتكسرة»، التي انطوت على أصداء خفقات قلبه حين تعرّف في بشري وهو يدرس في معهد «الحكمة» إلى حلا الضاهر. وأهدى هذا الكتاب عربون وفاء إلى ماري هاسكل «التي تحدّق بالشمس بأجفان جامدة، وتقبض على النار بأصابع غير مرتعشة، وتسمع نغمة الروح الكلّي من وراء ضجيج العميان وصراخهم».

كانت هذه الرواية فاتحة علاقة حميمة، ولو من بعيد، بين جبران ومي زيادة التي أنشأت في القاهرة ندوة أدبية جمعت كبار الكتاب في مصر.

رغم الحياة الأدبية والفنية الخصبة في نيويورك، تذرّ جبران من «داء الملل الذي يميّت» فوصف في رسائله إلى الخلّان بأنه في مدينة تتحرّك على دواليب يكاد يختنق. لكنّ تعرّفه إلى نيتشه في كتابه «هكذا تكلم زرادشت» منحه بعض العزاء، فقد وجد في داعية السوبرمان (الإنسان المتفوّق) هادياً له لإعلان ثورته على المجتمع. وكان من ثمار تأثره بالفيلسوف

الألماني كتابه «المجسّون» الذي كتبه بالإنكليزية بمساعدة ماري هاسكل، وكانت هذه تلازمه كرفيفة عمر، ولم ينشره إلا بعد الحرب.

وكان لمعرض جسر في نيويورك الذي لقي نجاحاً كبيراً فعله الحاسم في إطلاقه كرسام عظيم. لقد قدرت المحلات النقدية الكبرى «رؤاه الرمزية الضائقة» التي بدت في خلفياتها ظلال من وحي وليم بلايك، وكان حبران يهواه شاعراً وفتناً.

في الحرب العالمية

نشبت الحرب العالمية الأولى فدمرت أوروبا، لكنها في بداياتها لم تُقلق العالم الحديد إلا بمقدار إلا أن الكارثة التي حلت بلسان فحوّعت أُنساء وشرّدتهم وقصّت على الآلاف منهم بقصّة عيش حبران، فعبر في سلسلة مقالات عن هول الماحقة وأثرها في أعماقه، ولم يكتف بالكتابة بل ساهم مع بعض إخوانه الأدباء في إنشاء لجنة إعانة للمتكويين حققت من وطأة المأساة على السياسيين

خلال هذه الحرب لطاحت تأصّلت علاقة حبران بالأدباء السياسيين والسوريين جمعاء، فبين في سويسرا.

فَعَقَدُوا الْعَزْمَ عَلَى إِنْشَاءِ جَمْعِيَّةٍ أَدِيبِيَّةٍ تَنْهَضُ بِالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الرَّاكِدِ إِلَى الْمُسْتَوَى الْعَالَمِيِّ، وَاسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الْاِتِّصَالَاتُ بَعْدَ الْهَدْيَةِ، فَانْتَهَتْ إِلَى تَأْسِيسِ «الرَّابِطَةِ الْقَلَمِيَّةِ». وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ أَصْدَرَ جَبْرَانُ «الْمَحْضُونَ»، وَ«لِعَوَاصِفَ»، وَ«الْمَوَاكِبَ»، وَ«السَّابِقَ»

الرَّابِطَةُ الْقَلَمِيَّةُ

فِي الْعَشْرِينَ مِنْ بَيْسَانَ سَنَةِ ١٩٢٠ عَقَدَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ الْمَهْجَرِيِّينَ احْتِمَاعًا، وَفَرَرُوا إِشْءًا رَابِطَةً تُشَلِّ الْأَدَبَ الْعَرَبِيَّ «مِنْ وَهْدَةِ الْحُمُولِ وَالتَّقْيِيدِ إِلَى حَيْثُ يُصْغِحُ قُوَّةَ فَعَالَةٍ فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ»

وَبَعْدَ أَسْبُوعٍ أُعْلِنَتْ «الرَّابِطَةُ الْقَلَمِيَّةُ» بِرِئَاسَةِ حَبْرَانَ وَكَانَ سَائِرُ أَعْضَائِهَا الْمُؤَسِّسِينَ مِيخَائِيلَ بَعِيمَةَ، سَيِّبَ عَرِيصَةَ، رُشِيدَ يُونُسَ، نَدْرَةَ حُدَّادَ، وَلِيمَ كَسْتَقْلِسَ، إِيَّابَ أَبُو مَصْيَ، وَرُشِيدَ الْحَاوِطَ.

كَانَتْ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةُ مَرْكَزَ الْإِطْلَاقِ الْأَدَبِيِّ الْمَهْجَرِيِّ كَرْدَةً فَعَلَ عَلَى الْأَدَبِ الْمَحْنُوطِ، وَفِي تَمَثُّزٍ بِالدَّعَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَسَدَةِ بِحَدِثِ بَدْيِهَا كَبِ تَطَوُّرِ الْعَصْرِ.

النبي

لم يصرف اهتمام جبران الشديد بالكتابة القلمية عن النتاج الشخصي، بل حفره على لإبداع ومضى يكتب رائعته «السي»، الذي قال عنه «إيه دياستي وأقدس قدسيات حياتي». تسمى لو أقرأه في إحدى الكنائس». لقد شاءه عصارة احتار حياة مثاليه لطهما سما إليها. «أريد أن أحب الحبيب بدلاً عن الكفة عن النار أفضل أن أكون حمرة تناجح. أريد أن أكون معلماً. وما أني مستوحدا أريد السحدث إلى جميع المستوحدين». هذا ما أعده حمرة إلى ماري هاسكل.

ومد ذلك الحب روح حمران في كتابه وأعمده يسلك سبيل الأنبياء. لا أن المرص لأرمة كصيفه فقض عنه مصححه لكنه م ستسلم مشيئة القدر.

في صيف سنة ١٩٢٣ ظهرت رائعة حمران في قالت عنها ماري هاسكل «سمنحها في صدمات للاهتداء إلى أنفس ولاحد نساء». لأرمة في دحب» و عسر وأمير كير سي حمران حمران

النهاية

استمرت علاقة جبران الكتابية بمي زيادة، لكن علاقته بماري هاسكل فترت إلى حد ما بعد أن تزوجت سنة ١٩٢٦.

ومدد ذلك العام سبطر هاحس الموت على جبران. وفي هذه المرحلة القاتمة أصدر «يسوع ابن الإنسان» الذي أرده بررخاً إلى كتب أروع يكمل «النبي».

رغم العلة المزممة ستمثّر حبران يكتب ويرسم، وأنجز «آلهة الأرض». ومضى ينقح «التائه»، ويأشر كتبه «حديقة النبي» بمعاونة بريرة يونع.

لكنّ للجسم طاقة محدودة استنفدها جبران في عممه المرهق، فمطأ أفعسه الأحيرة في ١٠ نيسان سنة ١٩٣١، ونقل جثمانه في صيف ذلك العام إلى مسقط رأسه شري، بناء على وصيته، ووقد جبران رقدته الأحيرة في صومعة دير مار سركيس المطلة على أروع ما تقع عليه العين في الوادي المقدس







منزل حوران في بشري



قصر جبران ومنحه في حابة مار مركيس

عرائس المروج

عرض

«عرائس المروج» هي كتاب الثاني لحرار، أصدرها بعد «الموسيقى» سنة ١٩٠٦، وفيها ثلاث أقصيص وقصته عناوينها رماد الأحياء والدم الحالدة، مرة الدية، ويوحنا المحزون.

نشر حرار هذه الأقصيص في حرسه «المهاجر»، حين كان يعاني اضطراباً نفسياً شديداً بسبب حزنه على أخته وأمه وشقيقه وحديثه البائسة ثم جمعها في كتاب قدم له صاحب «المهاجر» أمين الغريب. وأهداه إلى الحمة التي بدأت تتبدد طمسها الباطية إلى مربي هسكل بهذه العبارة المؤثرة على النسخة الأولى:

«مع حب طين قوتي إلى ماتي
هاسكل».

ولم يشأ أن يكون الإهداء واضحاً بالسنة
للقارئ فجاء هكذا:

«إلى التي تحرق إلى الشمس بأحضان حامدة،
وتقبض على النار بأصابع غير مرتعشة، وتسمع نغمة
الروح».

وكانت ماري هسكل، وهي تكرر حيران عشر
سنوات، بعثاة أم له. لذا جاء في إهداءه الخاص
«مع حبّ طفل».

ما هي موضوعات الكتاب؟

موضوع الأولى «رماد الأجيال والنار الخالدة».
يدور حول ابن كاهن قديم عاش في بعلبك مدينة
الشمس، في خريف سنة ١١٦ قبل الميلاد، وفقد
حبيبته التي أحبتها حتى يقرب من العدة، فهدم على
وحشه يتعثر في حبيبته. إلا أن حبه لم يمت بموت
العشيقة، لأنه خالد، وهذا ما ترمز إليه النار الخالدة
في العنوان. لقد كمن الحب كما الدرع تحت الرماد،
رماد الأجيال ليُبعث حبّ سنة ١٨٩٠. وكيف يموت
الحب، في نظر حيران، وهو يرتكر إلى أحلام
وعواصف «سفي سف» أرواح كلتي حناد نقيب ثم
تشرق كالشمس والقمر».

عاد الحسيبان إلى الحياة، إلى بعلث، بعد أن
تقمصا هو تقمصر غنماً وهي تقمصت قروية لقد
أعادت عشتروت ربة الجمال، روحيهما إلى الحياة
ليثدؤقا «ملدات الحث ومعد الشية» ما طاب لهما

العاشق الأول هو بائان ابن الكاهر حيرام وقد
تقمصر علي الحسبي

موصوع الثاية «مرتاً البانية» فتاة قروية يتيمة،
سيطة القلب، رقيقة الحال، أعواها شاب حميل
الطبعة، أبق الهدام، النقاها مصادفة. كانت يومذاك
في السادسة عشرة من عمرها، جالسة قرب العين
تأمل أوراق الحريف المتناثرة، وتنطلع إلى الرهور
الذابلة.

ترخل الشاب عن حصانه لما رآها وطب إليها
أن تدله إلى طريق الساحل، فلم تستطع تلبية طلبه
فاحمر وجهها خجلاً وشعر كل منهما شعور شديد
يستولي عليه.

وسم تعد مرتاً ذلك المساء إلى مرس ولها، وله
يرها أحد في القرية بعد ذلك اليوم.

موصوع الثاية «مرتاً البانية» فتاة قروية يتيمة،

فما حملت منه سدها وكان شيباً لم يكن، فصصرت
أن تردى في هوة لعداء لكي تعين صغله.

لما عاد المؤلف من شرق إلى بيروت حيث
كان يدرس في معهد «الحكمة»، استقى صبيّاً في ثياب
رثة يعرض عليه باقة زهر، واشفق عليه وراح يحدثه
ويسأله عن نويه، فعلم أن أمه مريضة

مضى الكتب مع الصبي إلى أمه القاصدة في
أحد الأرقعة القدرة وراح يؤسي بيت المسكينة،
صحية العذر، ففتحت له قلبها وروت له حكيتها مع
دك «الحيوان المحسن في الإنسان»

ومدت من فم يشيعها إلى ثمر لا سيد وفني
آخر هو راوي القصة.

إن صلة قصة الواقعية هذه عرضها حزن
حفاً، وقد روى يوسف الحويث لحنات المعروف أنه
كان مع حزن في مشهد «كوكب شرق» في بيروت
يوم رأيا صفاً يبيع أزهاراً لكي لا يتسول، وقد حدث
يستظفه ليعلم ما الذي حمده على هذا العمل الشاق،
وهو يكاد يكون في مرحلة الضممة، فأثر شفقته
وجعله يمضي معه إلى زيارة أمه اليتيمة.

واضطّر والد يوحنا إلى أن يشهد أمام محاكم
أنه مهجور، لكي يستطيع أن ينفذه من أسحر،
ثم خُيل له حقاً أنه معتوه.

وأصبح يوحنا موضع سخرية عادية من الناس
وخصه، لكنه استمر مؤمناً بعدة الإلهة

وتنتهي قصة يوحنا المعمدان

فوق عيني ما نشتم في ديار يثرب من معجزة في
صبي عليل، لكن ثار دمه في عيني حصصه ما دى
حتى يحيى الفجر وتطلع الشمس».

تحليل الكتاب

تمه قصصية لا، فعليه هي لأوسى،
وأقصوستان واقعيتان هما الباقيتان.

في "مدد الأحبار" وسر "العند" طرخ نصريه
حرب في شخص، أي عشتار من عشتار "عند"
جدة وعنده شرق لأقصي، ولا سمحاً بحدثة
بها نفس العودة بالأساس، بل عودة إلى "عند" في
سبب ستكم من ماستصعه في حده لأوسى،
تحقيقاً لأحلامه على دروب الألوهة.

من هنا تصممت لأقصوصة مرحلتين رسميتين
تفصل بينهما مئات السنين، وتجمع بينهما شخصيتان
لهما الروحان عياهم وإن اختلفت الأسماء
والمظاهر.

وفي هذه الأقصوصة أيضاً تأكيد على وحدة
الوجود، واعتبار الحسد مجرد نقاب يحجب ألوهة
الروح.

رجع المؤلف إلى القرآن الكريم عربزاً لطرته
في التقمص، لكنه فتره على هوه، كما استشهد
بوذا فأصاب الهدف.

قال بوذا: «كنا بالأمس في هذه الحياة، وقد
حننا الآن، وسوف نعود حتى نصير كاملين مثل
الآلهة».

وانطلاقاً من هذا المبدأ أعاد جبران بطلينه إلى
حياة جديدة.

إن التماسك القصصي ههنا يفتقر إلى التسلسل
المطقي سواء في السرد أم في استخلاص المعنى

وهناك بعض التناقض في سياق العرض، إذ
لنفس بحث حبيته أولاً بمشيه عشراً، ثم

يلت أ يحدث هذه الالهة كيف احذر هو نفسه ،
بدون مشيئتها على ما يظهر ، عروس أحلامه

في «امرنا الدية» يفرغ حزن نفسه على مجتمع
سحلت فيه الصم الحقيقية ، ويد العني يستريح هيك
الأعراص إشباعاً لشهوته لقد وقعت مرتا اقرويه
الربة صحبة دثب ، ولما افرسها أعرض عنها عمر
مال ، وكأ المنة سلعة يسر إلا لكن مر ويز
تدثر حسدها ، طلت بقية طهرة بروحها ضنت
بمودجاً صارخاً للفتة المعدولة على أمره ، التي
سحق ورر ، أخطائها وسجانه قدرها بحررة إنها لم
تُمت الحبر في أحشائها ، بل أرصعته من حباب
طهلاً ولما عحرت عن إعالته دفعته شريد إلى
دروب الحياة .

روي جبر في هذه الأقصوصة حدث عديشه
بقالب شعري عني بالصور ، ولكن بتركيب بياني
ركبك وهي كسائر أقاصيص جبران لا تنتهي إلى
دروة المعالية تصوي على مهاجته حسب مفهوم
الأقصوصة الأصولي .

ن الأقصوصة لأحمد «يوحنا تسحور» ، فقد

شرح حمرن نفسه في رسالة موجهة لى حمرن
معلوف ما أراده منها، إذ قال:

«هى كلمة من رواية مُحرّبة مستترة على مسرح
سلبالى، روايه حنة بحياه بحصوع الأعمى،
ولاستبدد الحميت، وقد نظرت فرأيت أن السُّل اتى
انحدها لكثاب فيما مضى لمقدلة ستداد لاكيروس
مصرّة سددى اولثك، الذين يتحدون احمرن سدد
الدينه سبلاً لإسقاط الكهان القائمين بهذه لتقاليد
به لخصاً عينه لأن العاصفة لُدببة شيء صبيعي في
لإنسان. أما الاستدد بواسطة التعاليم الدينية فيس
من لأمر الصبغة بل هو بعكسها. من أن دك
حمت بوحث فحث لیسوع، مؤمناً بحببه، أمياً على
تعاليمه».

إن حكاية يوحنا المجنون تُذكر بحكاية عتق
أسعد الشديق في شمر لبار لدي أنهم سلكوا لأنه
اعتق المذهب لروتستنتي أما الدير فهو دير إيشع
السي، وما راب قائماً كما وصفه حمرن

لقد حاول حمران من خلال هذه الأصوصة،
أن يبدد س حال الدين، الدين لا يمارسون هم أنفسهم
عديده مسيح س عنة سى رحمة و صبغة، فهدو

يعلمون الناس هذه المبادئ السامية في مدارس
ويعظون بها في الهياكل .

لقد تطرّف جبران في ثورته الانفعالية، فكال
كلّ رجال الأكلسوس بمكمل واحد، وحمل الصالح
بيهم ضحية الطالح .

ملاحظات عامة

جبران كاتب ذاتي، قلما استطاع أن يخرج من
ذاتيته ليدخل في ذاتية أبطال قصصه كما يفترض المر
القصصي . فمعظم شخصوه يتكلمون بلسانه ويعترو
عن آرائه هو . مرت، في ثورتها على الغدر والحداع،
ويوحا في حملته على رجال الدين الذين يتكرو
أعمالهم لما يتعلمون في الإنجيل ويبشرون به، هما
يستعبران صوت جبران، فأني لمرتا اليتيمة التي لم
تدخل مدرسة، وأنى لراعي البقر يوحنا تلك البلاعة
في التعبير .

وأحياباً كثيرة يتجاوز جبران شخصوه
الأفاصيص ليعط توجيهاً وتنديداً في نرة إيجيلية . أما
الأسلوب فهو نمة فجّة، ذلك أن جبران وهو بعد في
بداية عهده بالكتابة ما كان قد تمرّس بعد على أصول
السان و التركيب الدعوي السليم، وهو يه هـ يردّد

التعابير عيها، ويكثر من العوت التي تصعف طاقة الكلمة بدل أن تعررها. وهو يعتمد ألفاظاً لا تمي بقصده، وكأن يبه وبين القاموس عداوة

من سيئات هذا الأسلوب، على طلاوته ورونق تشابيهه، تعاقب الحمل على المعنى الواحد، واستعمال الفاعل الثقيل اوقع بدل الفعل المحرد كما في هذه الأمثال:

«مزقي هذا القاب الحاحب كنيتي واهدمي هذا البناء السائر الوهيتي».

«سمع مبصت لوعي المحنة، وعين مبصرة
مجد السعادة»^(١)

أهداف الكاتب

أهم الأهداف التي رامها جبران في هذا الكتاب، ما عدا عرض أفكاره في التقمص ووحدة الوجود هي:

- تقديس الطبيعة، على طريقة الرومنسيين، التي تتجلى في أسمى مظاهرها في القرية رمز الطهر

(١) من «رماد الأحيال والدار الحالدة»

والعموية والبقاء، بالمقابل دة الحدييه، مؤرة لفساد
حلقتي والاحتماعي "الحل ادي صروف معضم عمر
في لحدن الآهنة، لا يعرف شيئاً عن معشة سكان
قرى ولماراغ لمنزوية في لسا، قد سربا مع نيز
مدينة الحديثه حتى سيبا أو ساسيا فلسفه نبت
الحبة الحميه السيطه المملوءة صهراً ونقوة، نبت
الحية لتي إذا ما تأملها وحدها منسمة في أربع،
مثنى في الصيف، مسعلة في حريف، مرنحة في
لشاء، متشهة رأم الطبيعة في كل أدوارها»

- تحذير انصاة من معنة لائقاد إبي بروة عذرة

- تمجيد الحب والجمال والفضيلة

عرانس المروج

إهداء

إلى التي تحرق إلى الشمس بأحضان
جامدة، وتقبض على النار بأصابع غير
مرتعشة وتسمع نغمة الروح.

جبران

رماد الأحيال والنار الخالدة

(١)

توطئة

(في حريف ١١٦ قبل الميلاد)

سكن النيل ورفدت الحياة في مدينة الشمس^(١)
وأضفت السراج في مصدر المشترة حول الهياكل

(١) مدينة الشمس هي بعث مدينة مصرية مركز قصة بعثت
في محافظة شبراخيت بمحافظة البحري على نهر النيل
عمل شبراخيت هو دواخل تحت لاه همدد شبراخيت في العهد
مصر في وعرف باسم هيرابوليس (مدينة الشمس) أصبحت
مستعمرة ومدينة في عهد وعصر في مصر منها شبراخيت
عاصمة الحوض المصري في العهد لاه صورته شبراخيت
لبروم (١٣٨ - ٢١١) على نهر النيل بمعدتها هيرابوليس
لا تتركها من لأرب كرسيت لاه ثلاثة حوضين ومركز
مصر لاه شبراخيت هيرابوليس
باحوس، والأعمدة الستة

العصيمة القائمة بين أشجار الريثور ولعدر^(١)، وضع
لقمر فسكت أشعثه على يياض الأعمدة الرُحامية
المُتصصة كالحجارة تحفر^(٢) في هدوء الليل قدسح
لآلهه، وتطرّ تيه^(٣) وعجّاب نحو نروح سدان
لحاسة في لوعر^(٤) على جهات الروابي السعدة

في تلك السعدة المملوءة بسحر الهدوء،
المُوخدة بين أرواح اليبم وأحلام اللهاية، جاء ناثان
من الكاهن حيرام ودخل هيكل عشروت^(٥) حاملاً

(١) عدر شجر صلب أبيض من فصيلة العريبات مست برش وورقه
دائم لاصق وحشبه صلب، عطرٌ مستخرج من غشائه يورق
من تربوت صالح كدهن صلب لا وحاء كده قديم يصفر
من أورقه كالبني لمتعصرين وسعدها ربات لسوت تطيب
نكهة الأكل.

(٢) تحفر تحمي، تحير، نحرس

(٣) تيه حنبلاً

(٤) الوعر: المكان المحيف، والمكان الصعب

(٥) عشروت، ربة الحث والحصب والحرب، معوده نقبش
امتدت عبادتها من أوعريث إلى احد، فييفيه لأخرى
سعد وصور وحس وعبد وجر في سدة شعبة حده
وحارسة الشيبة، هي عشار لدى سكان ما بين النهرين، =

مشعلاً، ويبدُ مُرتحمةً أَسارَ المسارحِ وأوقدَ المساحِرِ
فتصاعدت روائحُ لُحْمٍ واللُّبَنِ، ووَشَحَتْ نمشُ
المَعْبُودَةِ سِقَابٍ لُطِيفٍ يُشْلِهْهُ بُزُقُ^(١) الأمانِي لِمُحِيطِ
بِقَلْبِ الشَّرِيفِ، ثُمَّ رَكَعَ أَمَامَ المَدِيحِ المُصَفَّحِ بَرْقُوقِ
العِجِّ وَلَدَهَبٍ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَنَظَرَ حَوَالِيَّ العِلَاءِ وَمِنْ عَيْبِهِ
الدَّمُوعُ تَسْتَدِرُّ الدَّمُوعَ، وَبَصُوتُ نَحْمَظُهُ لِعَضَّتِ
لَأَلِيمَةٍ وَتَقَطُّعُهُ الدُّوْعَةُ القَدْسِيَّةُ صَرَحَ قَدَثلاً: رُحْمَاكَ يَا
عَشْرَوْتُ العَصِيْمَةِ - رُحْمَاكَ يَا رَبَّ الحُتِّ والحِمَالِ،
تَرَأْفِي بِي وَأَرِيْبِي بِدِ المَوْتِ عَنِ حَبِيْبَتِي الَّتِي احْتَارَتْهَا
نَفْسِي بِمَشِيئَتِكَ. لَقَدْ نَسْتُ^(٢) أَعَاصِيْرُ^(٣) الأَطْنَاءِ
وَمَسَاحِيْقُهُمْ، وَبَطْلاً صَاعَتْ نَعَارِيْمُ^(٤) الكُفَّهَارِ

= وأفروديت عند اليونان، وفيوس عند الرومان وقد حدد
ليونان والرومان عاداتها من الفيينيين.

(١) بُزُقُ حجاب وهو في الأصل من سريره للمرأة وحبيب

(٢) نَسْتُ من فعل نَسَ وبه سيف عن مصروبه أي به يَصْه

(٣) أَعَاصِيْرُ ح إِعْصَارُ والإِعْصَارُ ريحٌ يهبُ شتوً وريبع
بَعْدَ كَعْبَرٍ - حَمْدُ - عَصَا - مَدِينَةُ - حَمْدُ - كَعْبَرٍ

بَعْدَ كَعْبَرٍ - حَمْدُ - عَصَا - مَدِينَةُ - حَمْدُ - كَعْبَرٍ

و بعز فيس ، و أنه يسق لي غير اسمك المقدس عو -
 وفس عدد ، فستحيبي تصر عاتي ، وانظري اسحق
 نفسي وتوخي عو ضفي ، وأتقي شطر نفسي^(١) حب
 حسبي ، لفرح بأمر محبتك وسعد بحمل نشية
 المعلنة خفايا مكدك.

من هذه الأعماق أصرخ إليك يا عشروث
 بمقدسة من وراء ظلمة هذا سب استحي^(٢)
 - ماتك . وسمعي أن عذت بأن ابن الكاهن حرم
 لدي وقف عمره على خدمة مكدك قد أحست
 صينة من بين لصب وتحدثها رفقة فحسدتها عرفت
 لحان^(٣) وفتش^(٤) في حسده نصيف نهاث عنه
 عريفة ، ثم بعث رسول لمديا ليموده إلى معوره
 سحرية ، وهو هو الآن رصن بفرص مصحعه ،

(١) شطر نفسي : حييتي

(٢) استحي : استجده استحيث .

(٣) كانت لغات في حاضره بكون ب حده د بعثت في م

الأس صفة من روح ، وإن فعل سحر عريفة أو صاها

هذه لامة ب سحرية ب حده حنا في حده عو ..

يُرْمَحُ كَلِمَرُ الْحَائِجِ، مُخْتَمًا عَلَيْهَا بِاحْسَنَةِ السُّودِ،
مَدًّا مَقَاصِصَهُ^(١) الْخَشِيشَةَ لِيَعْمَالَهَا مِنْ بَيْنِ صَلُوعِي. مِنْ
أَحْلٍ ذَلِكَ حَثُّ إِلَيْكَ مُدْلَلًا، وَرَحْمِيَّ وَنَفِيَّهِ رَهْرَةً
لَمْ تَهْرُخْ نَعْدُ بِحِمَالِ صَيْفِ الْحَيَاةِ، وَضَائِرًا لَمْ يُكْمَلْ
تَغْرِيدَ مَسَرَّتِهِ لِمَحْيٍ، فَجَرِ الشَّبِيحَةِ. أَفْذِيهَا مِنْ بَيْنِ
أَطْعَامِ الْمَوْتِ فَسَهَّجْ بِأَعْيِ مَدْنَحِكَ، فَعَدَمِينَ
الْمَحْرُوقَاتِ^(٢) لِمَحْدِ اسْمِكَ، بِأَحْرَسِ الصَّحَابِ عَنِي
مَدْنَحِكَ، مَاثِيٍّ بِالْحَمْرِ الْقَدِيمَةِ وَتُرَيْتَ، بِمَطْيَبِ تَبَةِ
حَرَائِثِكَ، فَارْشِي بِالنُّزُودِ وَالْيَاسَمِينَ رُواقِ^(٣)
هَيْكَلِكَ، مُحْرِقِينَ السُّحُورَ وَلُغُودَ لُدْكِي الرَّائِحَةِ أَمَامَ
تَمَثُّلِكَ. حَلْصَبِ يَا رَنَّةَ لُمُعْجَرَتِ وَدَعِي الْمَحَنَّةَ
تَعْلُبُ الْمَوْتَ، فَأَتِ رَنَّةَ الْمَوْتِ وَالْمَحَنَّةَ

وَسَكَتَ دَقِيقَةً كَانَتْ فِيهَا لَوَعَتُهُ تَسْبُلُ دُمُوعًا

(١) مَقَاصِصُ حَمْعٌ مَمْنَعٌ وَهُوَ مَا يَنْصَرُّ عَلَيْهِ بِحَمْعٍ كَقَفِ
وَالْأَصْح: مُخَالَفٌ.

(٢) الْمَحْرُوقَاتُ: الْقَرَابِيسُ. مَا يَنْتَرُكُ بِهِ إِلَى الْآلِهَةِ تَرْكًا وَاسْتِدْرَارًا
لِلنَّعْمِ وَالْحَيْرِ.

(٣) رُواقُ الْهَيْكَلِ: مَقْدَمُهُ

وَتَتَصَاعَدُ تَهْدَأُ. ثُمَّ عَادَ فَقَالَ «أَوَاهُ! لَقَدْ تَصَعَّصْتُ
أَحْلَامِي يَا عَشْنَرُوثَ الْمُعْذَسَةِ وَدَانَتْ خَشَشْتِي»^(١)
وَمَاتَ قَلْبِي فِي دَاخِلِي وَانْتَهَيْتُ ذَمَّوَعِي فِي عَيْبِي،
فَأَحْيَيْتُ بِالرَّأْفَةِ وَأَنْقِيتُ نِي حَيَاتِي» وَدَخَلَ بِدَدِكَ عِنْدَ
مَنْ عَيْبِهِ وَاقْتَرَبَ مِنْهُ نَظَرًا وَهَمْسًا فِي دُنُو هَدِهِ
لِكَلِمَاتِ «لَقَدْ فَحِثْتُ عَيْبِي يَا سَبْدِي وَبَصُرْتُ حُورَ
مَصْحَعِهَا فَلَمْ تَرِكْ ثُمَّ سَدَدْتُ بِلِحَاحَةٍ»^(٢) فَحِثْتُ
لَأَدْعُوكَ إِلَيْهِ».

فَقَامَ سَدَنٌ وَمَشَى مُسْرِعًا وَالْعَدُوُّ يَشْفَعُ، وَلَمَّا سَمِعَ
صَرَخَةً^(٣) دَخَلَ خُحْرَةَ الْعَيْبَةِ وَنَحَى فَوْقَ سَرِيرِهِ
أَحْدًا بِدَهَا لِحَيْلَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مُقْبِلًا شَفْطِيهَا مَرَارًا كَتَبَتْ
يُرِيدُ أَنْ يَنْفُخَ فِي حَسَدِهَا اسْتَقْبَلَتْ حَيَاةَ حَدِيدَةٍ مِنْ
حَيَاتِهِ، فَحَوَّثَتْ نَحْوَهُ وَحَيَّهَا لِعَارِقِ بَيْنِ الْمَسَدِ
لِحَرِيرَةٍ وَفَتَحَتْ أَحْقَافَهَا قَلْبًا، وَصَهَرَ عَلَى شَفْطِيهَا
حَيَاةَ اسْتِسَامَةٍ هِيَ بَقْنَةُ الْحَبِيَةِ فِي حَسَدِهَا الْخَصِيفِ، هِيَ

(١) لِحَشَاةٍ بَقْنَةُ بَرُوحٍ فِي حَرَفِ

(٢) لِحَحَاةٍ بَحَاةٍ

٣ صَدَحَتْ

حُرَّ أشعة من نفسها مُودعة، هي صدى نداء الحب
بمستارع نحو الوقوف. ثم قالت ومقاطع صوتها
تُشابه أنفاس صغر النقيرة الحائض

قد بدتني لأهبة ب عرس نفسي، وحاء الموت
ليتمصلي عنك، ولا حفرغ لأن مشينه لألهة مقدسة
ومطالب الموت عدلة أما داهية لأن وكثما الحث
والشبية ما برحت ضامحتين في أندسا، ومساك الحباه
حميلة ما رالت مُبسطة أماما أن راحته ب حبيبي بي
مسارح لأرواح، وسوف أعود إلى هذا العدم لأن
عشروت العظيمة تُرحف إلى هذه نحيابة أرواح المُحنين
الذين ذهبوا إلى الأبدية قل أن يتمنعوا بمدات الحب
وغبطة الشبية^(١). سوف يتقي ب شان وشرث مع
بدي الصباح من كؤوس لرحس ومخرخ مع عصافير
الحث بأشعة الشمس إلى اللقاء ب حبيبي

(١) ومن لأمنه على ديت م ورد في حـ ن لكريم في مـ
'بقرة ٢٨ * وكـ مـ فاحياك ثم بمسك ثم بمسك *
به نرجعون * وكـ مـ حاء على مـ مـ الكـ لـ
مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ مـ
مثل الالهة.

وانخفض صوتها وثقيت شمتها ترعدها مثل
زهرة أقاح ذليلة أمام نسيمات الصحراء، فصفاها حينها
وبلّل عُقْقَهَا بِالْعَبْرَاتِ^(١) ولَمَّا قَرَّتْ شَمَتِيهِ مِنْ ثَغْرِهَا
وحده رداً كالشبح، فصرح صراحاً هتلاً ومزق ثوبه
ورتمى على حُشْتِهَا لِهَامِدَةٍ وَزَوْجِهِ الْمُتَوَخِّعَةِ تَرْوِخِ
بِأُحْحِ^(٢) الْحَيَاةِ وَهَدْوِيَةِ الْمَوْتِ.

في هدوء ذلك الليل ارتحفت أحقاد المرافدين
وحزعت ساء يحيى ودُعِرَتْ أَرْوَاحُ الْأَطْفَالِ إِذَا تَنَفَّسَتْ
مَلَابِسُ الدُّحَى سَوَاحٍ مَوْحِعٍ وَلُكَيْ مُرٍّ وَعَدِيدٍ تَبِيمِ
مُضَاعِدٍ مِنْ خَوَابٍ قَصْرٍ كَاهِلٍ عَشْرَوَاتِ.

ولَمَّا حَاءَ الصَّبَاحُ صَدَّ السُّقُومُ نَادَى لِيُعْرَوَهُ
وَيُؤَاسُوهُ فِي مُصِيبَتِهِ فَمِمَّ يَحْدُوهُ

وبعد أنام حاءت قفلة من المشرق أحمر زعيمها
أنه رأى نادى تائهاً في السُّرِّيَّةِ هَائِمَةً مَعَ سُرَبِ^(٣)
الْغِزْلَانِ.

(١) العبرات: الدموع

(٢) أُحْحُ: صيغة منادٍ، أي: يا حيٍّ يا مُعْشَرٍ

(٣) أسراب: قطعان

مرّت الأحياءُ ساحتها بأقدامها لحفنة أعمال
الأجبال، وبُعدت الآلهةُ عن البلاد وحلّ مكسها كهة
عضوتٌ يبدؤ لها الهدمُ ويُهجعُ التحريثُ، فذكت^(١)
مياكلُ مدينة الشمس المرحمة وتقوصت^(٢) قصورها
أحميلةً ويبست حدائقها أنصرةً، وأجذت حقولها^(٣)
أحضةً، ولم يبق في تلك السقعة غيرُ طيرٍ نالٍ يُعدُّ
للمداكرة^(٤) أشباح الأُمس فيؤلمها، ويرجع للفسب
صدي تهليل لمحد العديم فيُحرثها.

ولكنّ لأحيال التي يمرّ وتسحق أعمال الإنسان
لا تُفني أحلامه، ولا تُصغف عواطفه.

فالأحلامُ ولعواطفُ تبقى سقاء الروح الكُتبي
الخالد، وقد تتوارى جيباً وتهجع^(٥) آوبةً متشبهة

(١) ذكّ الناء: هدمه حتى سواه بالأرض

(٢) قوص الناء: هدمه

(٣) حدائقها أنصرة: بحسة لرويق ولها، أجدت حقولها
نقطع عنها المطر ويبست

(٤) لأصخ قوله: يُعد إلى المداكرة

(٥) تهجع: تنام

الشمس عند محي ، بين : - شمس عند محي ،
الصباح .

(7)

في ربيع سنة ١٨٩٠ لمجيء يسوع الباصري

سوارى سهار واصل محل السور ونقبت شمس
وشاحها عن شهبول بعلت فعدد عني الخسبي^١ أمام
قصعه نحو حراثت نهكن، وهت حس بين لأعمدة
السافطة كبها أصلع خسدي مرويذ مرقن الهنجد^٢
وحزذنها لعدصر، فربصت عذفة حوله فستمد^٣
بانغام شبائته.

انصاف لیل، و نقب اسماء بذور معد فی
عماق ظممه، شعب خندان عانی من شجاع ایقصة

() - لحسی عینہ عربیہ (ل ت ر) ح م س ک فی مصنفۃ تعلیم
فی البقاع المناس.

(٢) الهيجاء . الحرب

لعالم ولا تشيه^(١) محاري الغمر

لأول مرة في حياته شعر عني لحسبي بعاضته
عربية أيقظتها حرائث الهكل عاصمة رقيقة هي
الذكرى ممرلة النحور من المحامر عاصمة سحرية قد
انعكفت^(٢) على حوسه انعكاف أمل الموسيقى على
صفوف الأوتار. عاطمة حديدة قد انشفت من
الأمشيء، أو من كل شيء، رمت وتدرجت حتى
عانت كليلة المعوية وملأت بصبه شعب مديف^(٣)
بلطمة، وتوَّع مُستعدب بمررتة مستطيب بقسوته
عاطمة تولدت من حلايا دقيقة واحدة مُعممة بالنعس،
ومن دقيقة واحدة تتولد رسوم الأحيال مثلث تنسل
الأمم من نطفة واحدة^(٤)

نظر علي نحو الهيك لمهدوم وقد نذل

(١) تشيه: تعيده عن عزمه.

(٢) انعكفت على حواسه: لزمها

(٣) شعب مديف: شعب الوء، ومديف من ديف مرض
ثقل مرضه ودنا من الموت، وها معنى: شديد، قاتل.

(٤) نطفة ما يكون الجنين في رحم المرأة.

العاس ببطء زوحيه فظهرت بقب المصح مُمخِدة
وانصحت امكن الأعمدة المُرتمية وأسر الخدر
المتدعية فحمدت عياة وحقق قلنه، ومثل صرير عاد
الور بي عيسه فحة، فصر يرى ويفكر وتأمل ومن
تموحت لتفكر ودوائر التأمل تولدت في نفسه أشاح
الدكري فتذكر، تذكر تلك لأعمدة متصلة بفخر
وعظمية. تذكر المصريح والماسح النصية المحضة
نمشت معنودة مُهابة ^(١) تذكر الكهان الوقور
يقدمون اصحاب امام مديح مصفح بالدح والذهب
تذكر الصابا الضاربات الدفوف والعتيق المترومين
بمدائح ربة الحب والجمال.

تذكر ورأى هذه الصور متصحة لصيرته
المتكهرة وشعر بتأثيرات عومصها تحرك سوكس
أعماقه. ولكن الدكري لا تعيد غير أشاح الأحسم
التي برها فيما عمر ^(٢) من أعمارنا، ولا يرجع إلى
مسمع لا صدى الأصوات الي وعنها ادنا فئية

(١) مُهابة: ذات هة وحلال.

(٢) عمر: مصفح

علاقة بين هذه التذكارات السحرية وماضي حياة في
وُلد بين المصارب^(١) وصرف رسع عمره يرعى فطيعاً
من الغنم في البرية؟.

قام عليّ ومشى بين الحجارة المتقوصة
وتذكاراته لبعيدة تُزخ أعشية السبان عن مُحيلته مثلما
تُربل لصيته سبيح العكسوت عن بلور مراتها حتى
إذا ما بلغ صدر الهبكل وقف كأن في الأرض جداراً
يتمسك بقدميه، فنظر وإذا به أمام تماثيل مُهشم مُشقى
على الحصيص، فركع بحبه على غير هذى وعواطفه
تدفق في أحشائه مشمًا يسارع ريف بدماء من
حواب الكلوم السبعة^(٢)، وببصاات قلبه تكاثرت
وتتهمل^(٣) مثل أمواج البحر لمتصاعدة المُحصصة،
فخشع بصره وتأوّه بمررة وبكى نكء أليم لأنه شعر
بوحدة خارجه وتُعايد مُتلف^(٤) فاصل بين روحه وروح

(١) المصارب: حياء أبي يسكب لعرت: أحسن

(٢) الكلوم البليعة: الجرح العميقة.

(٣) تعبير غريب، وقد يكون المعنى: تتسارع.

(٤) مُتلف: مُصر، مُهلك

حمية كانت قربة قل محبة إلى هذه الحية.

شعر بأن حوهر نفسه لم يكن غير شوي من
شعة متقدة فصلت له عن داته قيل بمصاء لدهر

شعر بحفيف أحبة لطيفة تُعرف بين أصله
للمتعة وحول لمفد دماغه المصححة

شعر بأحث القوي العصيم يشمن قبه ويمتنع
أنفاسه، ذلك الحث الذي ينيح^(١) مكسوات النفس
لنفس ويفصل بتماعيله بين العفن وعالم المقاييس
والكمية، ذلك الحث الذي سمعه منكلماً عندما
تحرّس أنسه حبة، وراة متصفاً كعمود النور عندما
نحنت الضمة كل الأشياء، ذلك الحث، ذلك الإله
قد هبط في تلك الساعة الهائلة على نفس علي
الحسيني وأيقظ فيها عواصف خلوة ومرةً منما تستث
الشمس ترهور بحاب لأشوك

ولكن ما هذا الحث، ومن من أتى، وماذا يريد

(١) يُنيح - يقصع، يُظهر

من فتى راضٍ مع قطيعه بين تلك الهياكل الرميّة^(١)
ما هذه الحمرة السائدة في كبدٍ لم تُحرّكها وقد
لواحظ^(٢) الصبيا؟ وما هذه الأعنة لسدوية الممّوحة
في مسامع بدوي لم يُطرنة بعد شدو النساء^(٣)

ما هذا نحب، ومن أين أتى، ومدريد من
عني مشعول عن اعمامه وأعمامه وشبّنته؟ هل هي
نواة ألقنتها فحسب بدوية بين أعشار قلبه على غير
معرفة من حواسه، أم هو شعاع كان مُحتجأ بالصب
وقد ظهر الآن ليُنير خلايا نفسه؟ هل هو حُب سعى
في سكبّة ادبل ليسخر بعواطفه، أم هي حقيقة كسب
مند الأزل وستبقى إلى آخر الدهر؟

أعمص عليّ أجفانه المُعلّمة بالدموع ومد يديه
كالمُتسوّل^(٤) المُستعطف وارتعشت روحه في دحبه

(١) رابض: فعدء بآريك؛ الرميّة: الخربة.

(٢) كان من لأصوب قوله "أحمد، من" بواحد لأن سبب
لنظ والجمع لنحاط والحاط.

(٣) شدو النساء: عاؤهن.

(٤) المتسوّل: المستعطي (الشّحاد).

فقال «يا من تبيها»^(١) احسن وتديها وبحبها تبيد
وتقصها . تبها الروح احمية الحائمة في قصاء
أحلامي ، قد تقطت في ناضي عوطف كنت رنة
مثل ندور الزهور مُحترقة تحت أطراف الشمع ،
ومررت كنسيم الحامل أنفاس الخقول ولا مست
حواشي وهترت واضطربت كوراق لأشجارا دعيني
أرك إن كنت لاسة من المدة ثوبا أو مري اسوم أن
يعمص أحفاني وأراك بالمام إن كنت معوقة^(٢) من
شراب . دعيني أُمسك . أسمعني صوتك ، مرقني هذا
السحاب الحاحب كليني وأهدمي هذا الساء سدر
ألوهنتي وهبي حاحا وأصير وراءك بئى مسرح حملا
الأعلى ، كنت من سُكاتها ، أو لامي عيني بالسحر
وتبعك إلى مك من الحد إن كنت من عرنسها
صعي يدك الحبة على قسي وامتلكيني إن كنت حريا
بأباعدك .

كان عليّ يهمن في آذان الذحى كلمة

(١) تبها تعني من يابس ويابس

(٢) معوقة معرجة

المتأسفة^(١) عن صدى نعمة مُميلة في أعماق صدره
وسن ساطره ومُحيطه تنسل أشاخ اديل كأنها نحره
مُنوَّدة من مداجمه لسحية، وعلى حُدران الهياكل
تمثل له صورٌ سحريةً بالواب قوس فرح.

كدا مرث ساعة وهو فرح بدموعه، مُغتنط
بلوعته، سامعٌ نضت قلبه، ساطرٌ إلى ما وراء الأشياء
كأنه يرى رسوم هذه الحياة تضمحلُّ سطءٍ ويحلُّ
مكانها حلمٌ غريبٌ بمخاسه هائلٌ بهو حسه ومثل
سبي يتأمل بحوم السماء مُترقبٌ هبوط الوحي صار
يتنظر ما تأتي الدقائق، وتهداته المُسرعة تُوقف أُنفسه
لهادته، ونفسه تتركه وتسبح حوله ثم تعود إليه كأنها
تبحث بين تلك الخرائب عن ضائعٍ غريب

لاح الفجرُ وارتفعت لسكيةً لمرور نسيمته
وسال الورُ البفسحى بين دقائق الأثير، ونسمه
لفضاء انتسامةً نائحٍ لاح له في الحلم طيف حبيبته.

(١) المتأسفة المفعلة من أسى من بأسح بي تدع

وكانت بأسح تدعى بأسحها من بأسح بي تدع

ويُعرف بالتقصير

فظهرت العصبية من شقوق خدران حرناب،
وصارت تنقل بين تلك الأعمدة وتترنم وتتأذى فتنته
ماتي النهار. فتصب عليّ واصعاً يده علي حهته
مُلتهمة ويطر حوته بطرف حامد، ومثل أده عندما
فتح عيبه نفحة لله صار يطر مُسعرأ كل ما يراه
ثم اقترب من راحه ووداه فصمت وتقصت ومشت
وراءه بهذوء نحو المروح الحضراء. سر عليّ ثم
قطبته وعينه الكيرتار مُحدثات إلى القصد نصافي
وعواطفه المُنصرفه عن المحسوسات تُنير له عوامص
الوجود ومُستتراته ونريه ما عر من لأحيال وما بقي
مها بلمحة واحدة، ولبلمحة واحدة تُسيه كل ذلك
وتعيد إليه الشوق والحس، فيحد دته مُحجاً^(١) عن
روح رُوحه انحجاب العين عن لُور. فيشهد ومع كل
شهيدة تسليح شعنة من فؤاده المُتقد^(٢)

سلع الحدود للمديع بحريه سرور الحُقوق
فجلس على صفته تحت أعصار الصفصاف المُدببه

(١) محجاً: مستراً

(٢) المُتقد: المشتعل، الملتهب

إلى المياه كأنها تروم^(١) امتصاص عذويتها، وانث^(٢)
بعاضه ترتعي الأعشاب وندى الصباح يتلفع على
بياض ضوفها ولم تمر دقيقة حتى شعر بتسارع
سضب قلبه وتصاعف اهترارات رُوحه، ومثل راقِد
أحمسته^(٣) أشعة الشمس تحرّك وتدفّت حوله فرأى
صبيّة قد صهرت من سن لأشجار تحمل جرّة على
كتفها وتقدّم على مهل نحو العدير وقد بلّل الندى
قدميها العاريتين.

ولما بلغت حافة الجدور وانحلت لتملأ جرّتها
التفت نحو الحافة المُقابلة فالتقت عينها بعيني عني
فشهفت ورمث بالجرّة ثم تراجعت قليلاً إلى الوراء
وشخصت به شُحوص ضائع واحد من يعرفه

مرّت دقيقة كنت ثوابيها مثل مصابيح تهدي
قلبيهما إلى قلبيهما مُتدعة من السكينة أنعاماً عربية
نعيد إلى نفسيهما صدى تذكارات مُهمّة وتُسّ الواحد

(١) تروم: من رام يروم - تطلب، تريد

(٢) انث: مالب

(٣) أحمسته: بدء فشم ودهب

منهُما للآخر في غير ذلك المكان مُحاطاً بِصُورٍ
وأشباح بعيدة عن ذلك الجدول وتلك الأشجار،
وكان كُلُّ منهما يَطرُقُ إلى الآخر بِطَرَّةِ الاستعطافِ
ويَتَفَرَّسُ فيه مُستلظماً ملامحه^(١) مُصعباً لتَهْدِاته كُلَّ
ما في عواطفه من المَسموعِ، مُباحياً إِيَّاه كُلَّ ما في
نفسه من الأَلْسِيَةِ، حتى إذا ما تَمَّ لِنِعالِهِمُ وتكامل
التعارُفُ بين الرُّوخَيْنِ غر عليَّ الجدول محدّوياً بِقوَّةِ
خَفِيَّةٍ واقترب من الصَّيَّةِ وعانقها وقَبَّلَ شَفَتَيْها وقَتَلَ
عُنُقَها وقَتَلَ عَينَها فدم تُد حراكاً بين دراعَيْه كأنَّ لَدَه
العنق قد استزَعَتْ منها إِرْدَتَها، ورَفَقَ الملامسة قد
أَخَذَتْ منها قُوايِها، فاستسلمت استسلام أَلْهاسِ
الناسمين تَمُوخاتِ الهِواءِ، وأَلْقَتْ رَأْسَها على صدره
كَمُتَعَبٍ وَخَدَ رَاحَةٍ، ونَهَّدَتْ نَهْدَةً عَمِيقَةً تُشِيرُ إلى
حُدُوثِ اسْتِساخٍ في فُؤَادٍ مُنْقَصٍ وتُعلنُ ثُورابِ حِوارجِ
كَانَتْ راقِذَةً فافَقَتْ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَها وبَطَرَتْ إلى
عَينِهِ بَصَرَةً مِنْ يَسِيعِ الكَلَامِ لِمُتَعَرِّفٍ بَيْنَ البِشَرِ

^(١) يَتَفَرَّسُ فيه مُستلظماً ملامحه: يَتَفَرَّسُ فيه مُستلظماً ملامحه: يَتَفَرَّسُ فيه مُستلظماً ملامحه

محبب لسكينة - لعة الأرواح - نظرة من لا يرصى
بأن يكون الخُتُّ رُوحاً في أحسادٍ من الألفاظ.

مشى الحبيبال بين أشجار لصفصف ووحدايته
كلنهما لسانٌ يصقُّ بتوحيدهما، ومسمعٌ مُصنّتٌ لوشي
المحنة، وعينٌ مُصرةٌ محد السعادة، تشغهُما احرف
مُرتعيةٌ رؤوس لأعشاب والرُهور، ونُفْسُهُما اعصافيرُ
من كل ناحيةٍ مرتلةٌ أعاني السحرا.

ولم بلغا طرف لودي، وكانت لشمسٌ قد
طلعت وألفت عني بك لروي رداءً مُدهناً، حسب
مقرب صحرةٍ بحمي السفسخ بظنها وبعد هُبهةٍ
نطرب الصبية في سواد عيني علي وقد تلاعب السيم
شعره كأن النسيم شفاة حفية تروم تقيلها، وشعرت
أأمل سحرية تُداعث سادها وشفتها رُغم إرادتها،
فقلت وفي ضوئها حلاوة جارجة:

قد أعدت عشروث رُوحينا إلى هذه لحياء
كيلا نُحرم ملذات الخُتِّ، ومحد الشية ب حبيبي

فغمض عني حدة وقد مسح بصمسي

مرقا البانية^(١)

١

مات والذها وهي في لمهد^(٢)، وماتت أمها
قل بلوغها العاشرة، فتركَّت يتيمةً في بيت جَارٍ فقيرٍ
يعيش مع رفيقته وصعارة من ندور الأرض وثمارها
في تلك المزرعة المشرقة بين أودية ساب الحمية

مات والده ولم يورثها غير سمه وكوح حفرٍ
قائم بين أشجار الحور والهور، وماتت أمها ولم
تترك لها سوى ذموج لأسى ودن استيم، فماتت عرساً
في أرض مودها، وحيدة بين تلك الصُحُور العائنة

(١) نسمة إلى بان وهي قرية جميلة في شمال لبنان.

(٢) المهد: سرير الطفولة.

وَلِأَشْحَارِ الْمُحْتَنَكَةِ، وَكَانَتْ تَسْرُ فِي كُلِّ صَاحٍ
عَرِيهِ لِقَدَمَيْ رَثَّةِ لُثُوبٍ وَرَاءَ بَقَرِهِ حُبُوبٍ إِلَى صَرْفِ
لُودَى حَيْثُ الْمَرْعَى لِحَصِيْبٍ، وَتَحْلِسُ نَظْرٌ^(١)
الْأَعْصَانِ مُتَرَنِّمَةً مَعَ الْعَصَافِيرِ، بِأَكْيَةٍ مَعَ الْحَدُودِ،
حَاسِدَةً الْبَقَرَةَ عَلَى وَفَرَةٍ لِمَاكِلٍ، مُتَأَمِّلَةً سُمُورَ الرُّهُورِ
وَرَهْرَةَ الْفَرَشِ وَعِندَمَ تَعَبِ الشَّمْسِ وَيُصَيِّبُهَا^(٢)
الْخَوْعُ بِرَحْعٍ نَحْوِ دَنِّ كُجُوحٍ وَتَحْلِسُ مَعَ صَيَّةٍ وَلَيْلٍ
مُنْتَهَمَةً حَسْرَ لَدَرَةٍ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ الثَّمَارِ الْمُحَقَّقَةِ وَالنُّقُولِ
الْمَعْمُوسَةِ بِالْخَلِّ وَزَيْتٍ، ثُمَّ يَمْتَرِشُ الْفَتْرُ أَيْسَسَ
مُسَدَّةً رَأْسَهَا بِسَاعِدَيْهَا وَتَنَامُ مُسَهَّدَةً مُتَمَنِّيةً بِوَكَايَتِ
الْخَيَّةِ كُلِّهَا نَوْمًا عَمِيقًا لَا تَقْطَعُهُ الْأَحْلَامُ وَلَا تَبِيهِ
الْيَقِطَةُ وَعِندَ مَجِيءِ الْعَجْرِ يَسْهَرُهَا^(٣) وَبَيْنَهَا لَهْصَاءُ
حَاجَةٍ فَتَهْتُ مِنْ رُقَادِهَا مُرْتَعِدَةً حَائِثَةً مِنْ سُحُصَةِ
وَتَعْبِهِ

كَذَا مَرَّبٍ لِأَعْوَامٍ عَلَى مَرَاتِ الْمَسْكِينَةِ بَيْنَ ثَلَاثِ

(١) كَانَ مِنْ الْأَفْصَالِ وَاصْبَحَ قُوَّةً تَحْلِسُ فِي طَرَفِ الْأَعْصَانِ.

(٢) يُصَيِّبُهَا: يُتَعَبُّهَا، يُفْقِدُهَا قُوَّاهَا.

(٣) يَسْهَرُهَا: يَرْجِرُهَا، يَطْلُبُ مِنْهَا بِصَوْتِ حَافٍّ عَبِيْطٍ.

الروائي والأودية البعيدة فكانت سمو سمو الأصب^(١)
وتولّد في قلبها العواطف على عبر معرفة منها مثلما
يتولّد لعطر في أعماق لرهرة، وتستأنها، لأحلام
والهواجس مثلما تتناوئ القطعان محاري لمياه،
فصارت صيئة ذات فكرة تشبه تربة خيطة عدراء لم تلق
بها المعرفة تدور، ولا مشئت عليها أقدام الاحسار،
ودات نفس كبيرة طاهرة مهيبة بحكم انقدر إلى تلك
المررعة حيث تتقلب الحياة مع فصول السنة كأنها طر
إله غير معروف جاس بين الأرض والشمس

بحر الدين صرّفوا معظم العمر في المذن الآهة
كأذ لا تعرف شيئاً عن معيشة سكان القرى والمزارع
لمنزوية في لسان، قد سبوا مع تيار المدينة الحديثة
حتى نسيها أو تناسيها فلسفة تلك الحياة الحميلة السبيطة
المملوءة طهراً ونقاوة، تلك الحياة التي إذا ما تأملناها
وجذناها متسمة في الربيع، مثقفة^(٢) في الصيف،

(١) الأصب ما نصب من الشجر، أي ما يعمد في لأرض
ليصبح شجراً مثمراً

٢١ سمعة مثقفة شجر أو سمعة مثقفة شجر

مُسَعَّلَةٌ فِي الْحَرِيفِ، مُرَدَّةٌ فِي الشَّاءِ، مُتَشَبِّهَةٌ بِمَا
لَطَسَتْ فِي كُرِّ أَدْوَارِهَا سَحْنٌ أَكْثَرُ مِنَ الْقُرُونِ مَالاً
وَهُمْ أَشْرَفُ مَا نُفُوساً. نَحْنُ بَرْدٌ كَثِيرٌ وَلَا سَحْضُ
شَيْئاً، أَمَّا هُمْ فَيَحْضُدُونَ مَا يَرْرَعُونَ. نَحْنُ عَيْدٌ
مَطْمَعٌ وَهُمْ أُنَاءٌ فَبَاعَتْهُمْ. نَحْنُ بَشَرٌ كَأْسٌ لِحَبِيبِهِ
مَمْرُوحَةٌ بِمَرَارَةِ لِيَأْسٍ وَالْحَوَافِ وَالْمَلَلِ، وَهُمْ
يَرْتَشِقُونَ بِصَفَةِ

يَبْعَثُ مَرَّةً السَّادِسَةَ عَشْرَةَ وَصَدْرَتْ بِسُوءِهَا مِثْلُ
مِرَاةٍ صَقْلَةٍ يَعْكُسُ فِيهَا لِحَقُولِ، وَقَلْبُهَا شَيْءٌ
مَحَلَا^(١)، الْوَدِي يُرْجِعُ صَدَى كُلِّ الْأَصْوَابِ . . . هِيَ
بُومٌ مِنَ أَيَّامِ الْحَرِيفِ مَمْلُوءَةٌ بِتَأْوِهِ الطَّبِيعَةِ حَدِثَتْ
بِقُرْبِ لَعِينِ لِمُنْعِيقَةٍ^(٢) مِنْ شَرِّ الْأَرْضِ اعْتَدَى الْأَفْكَارِ
مِنْ مُحِيلَةِ الشَّاعِرِ، تَتَأَمَّنُ بِاضْطِرَابِ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ
لِتَصْفَرَّةٍ وَتَلَاغِبِ الْهَوَاءِ بِهَا مِثْلَمَا يَنْلَاعِبُ الْمَوْتُ
بِأَرْوَاحِ الْبَشَرِ، ثُمَّ تَنْطَرُّ بِحُزْنٍ لِرُهْورِ قِرَاهِ قَدْ دُنِلَتْ

(١) بِمَقْصُودِ مَحَلٍّ وَالْمَرَامِ وَالْكَيْسِ الْمَعْمُومَةِ لَا يُؤْدِي
الْمَعْنَى الْمَطْرُوبِ.

(٢) الْمَعْتَقَةُ: الْمَتَحَرِّرةُ

ويست قنوبها حتى تشققت وأصحت ستودع التراب
تدورهم مثما فعل النساء بالحوهر والحلى أيام
الثورات والحروب.

ويسم هي نصر إلى الزهور والأشجار، وتتغر
معها ثم فراق الصيف، سمعت وقع حوافر على
حصاء الوادي، فاستمتت وإد، يمارس بتقديم حوها
سطء، ولما اقترب من العين وقد دنت ملامحه
وملائسه على ترف وكيسية، رخل عن ظهر حوده
وحبب لصب ما تعودته من رخل قط، ثم سألها
قئلاً «قد نهت عن الطريق المؤدية إلى الساحل،
فهل لك أن تهديني أيها الصاه^٩» فأحبت وقد وقفت
مبسصة كالعص على حافة الغبر «لست أدري
يا سيدي ولكني أدهت وأسأل ولبي فهو يعلم» قالت
هذه الكلمات موحلي طاهر^(١) وقد أكسبها الحباء
حملاً ورققة. ورد همت بالذهب أو فضها الرخل وقد
سرت في غروقه حمرة لشيبة وتعيرت بطرائه وقد

(١) موحلي طاهر بحرف طاهر

«لا، لا تدهسي». فوقعت في مكانها مُستعرة شجرة
 بوحود قُوّة في صوته تمنعها عن لحراك. ولم
 حنست من احياء بطرة بيه رآته تنفلها بهتمام لم
 تفعه^(١) له مغي، ويبتسم لها بلطب سحري يكاد
 يكيها لغدوته، ويطر سموذة وميل إلى قدميها
 عاريين ومغصمها^(٢) لحميين وعنقها الأملس
 وشعرها الكثيف، الناعم، ويتأمر بافتد وشعب كيف
 قد بوحب الشمس بشرتها وقوت لصيعة ساعديها.
 ما هي فكانت مطرقة خجلاً لا تُربد الاصراف ولا
 تقوى على الكلام لأسباب لا تدركها

في ذلك لَمَسَاء رَجَع لِقَرَّة الخُلُوت وحده
 إلى الحظيرة، ما مرتا فسم ترجع وما عاد وبئها من
 الحقل بحث عنها بين تلك الوهد^(٣) ولم يحذها،
 فكر يديها باسمها ولا تحينه غير الكهوف وتأوهات
 الهواء بين الأشجار.

(١) لم بفعه سم تدرك

(٢) معصمها مشى المعصم وهو مكان لسوار من لد

(٣) الوهاد ج الوهده الأرض المسحقة

فرجع مُكتئباً إلى كُوحه وأحمر روحه فسكت
سكينة ضول^(١) ذلك الليل وكنت تفون في سره
رئيسها مره في الحسم بين ضاهر وحش كاسر يمزق
جسدُها وهي تبتسم وتبكي!

هد إحمال ما عرفته عن حماه مرنا في تلك
ممرعة لحمية، وقد تحبونه من شيخ فروى عرفه
مد كنت طمة حتى شئت واحتفت من تلك لأمكن
غير تركة حمها سوى ذموج قبيبة في عيسى امرأة
ولبها، وذكرى رقيقة مؤثرة تسيل مع نسيمات نضاح
في ذلك لودي، ثم تضمحل كاتها لهدت صدر عى
بلور النافذة.

٢

جاء حريف سنة ١٩٠٠ وعدت إلى بيروت بعد
أن صرفت الغصلة المدرسية في شمال لبنان، وقبل
دخولي إلى المدرسة قضيت أسبوعاً كاملاً أتحدث مع

(١) المقصود: مصب حول ذلك الليل

أترابي^(١) في مدينته مُتمتعين بحضته الخيرية التي
تعشقها الشبيبة وتحرمها في منازل الأهل وبين حُدران
مدرسة، فكنا نُسهِب بعضا فير رأيت أبواب الأقباص
مفتوحة أمامها فصارت تشبع القلب من لذة التقى
وعضة لعربد والشبيبة حُلُم حَمِيلٌ تسرق عُذوبته
معفيت^(٢) الكُتب وتجعله يقضة قاسية. فهل يحيى
يوم يجمع فيه الحكماء بين أحلام الشبيبة ولذة
المعرفة مثلما يجمع العتاة بين لُقلوب لفتنة؟ هل
يحيى يوم تصبح فيه الطبيعة مُعَنِّمة اس آدم،
والإنسانية كتابة، والحياة مدرسة؟ هل يحيى ذلك
ليوم؟ لا ندري ولكننا نشعرُ سيرا لحديث نحو
لارتقاء لروحي، وذلك الارتقاء هو إدراك حمار
لكائنات بوسطة عواجب نفوس واستدراك لسعادة
بمحتنا ذلك الجمال

فهي عشية يوم وقد جلستُ على شرفة المنزل
تأملُ لعرك المُستمر في ساحة لمدرسة، وأسمعُ

(١) أترابي: رفاقي . في سني، وعمري

(٢) معفياتُ الكتب: غرمها التي تحمى على الفرائ

جلبة^(١) ساعة الشوارع ومُداة كُلّ منهم عن صيب م
لديه من السلع^(٢) والمأكّل، اقترب مني صبيّ ابن
خمس يرتدي أظماراً باليةً ويحملُ على مكيّنه طبقاً
عليه طاقاتُ الرّهور^(٣) وبصوتٍ ضعيفٍ يُحفّضه الدُّ
الموروثُ والانكسارُ الأليمُ قال:

- أَتَشْتَرِي زَهْراً يَا سَيِّدِي؟

فطَرْتُ إلى وجهه الصغير المُضمَرّ، وتأملتُ
عينيّه المكحولتين أحيلاً التعاسة والمقاة^(٤)، وفمه
المفتوح قليلاً كأنه جُرحٌ عميقٌ في صدر مُتوَحِّعٍ،
ودرعينه العاريتين النحيتين، وقدمه الصغيرة المهرولة
المُحسنة على طبق الرّهور كأنّها عُصرٌ من الورد
الأصفر الدّاس بين الأعشاب البصرة، تأملتُ كلّ هذه
الأشياء بلمحةٍ مُظهراً شفقتي بانتسّماتٍ هي أمرٌ من
الدّفوع، تلك الانتسّمات التي سشقّت من أعماق قنوت

(١) جلبة: اختلاط الأصوات والصياح

(٢) السلع: ح بِلعة الصّاع وما يُجَرُّ به

(٣) الأفضل تشكير «الزهور» لسط سياق المعنى

(٤) الدقة: الحاجة الشديدة، العوز

وتظهرُ على شفاهها ونحو تركبها وشأنها لنصاعدت
وانسكتت من مافيها، ثم انتعت بعض رهوره ونعيتي
انتياغ مُحادثته لأني شعرت بأن من وراء نظراته
المُحرقة قلباً صغيراً يضوي على فصل من مأساة
الفقر، أدته تمثيلها على معب لأيم، وقل من يهته
بمشاهدتها لأنها موححة ولما حطته بكمات لطيفة
استأنس واستأنس وبظر إلي مستعرباً لأنه مثل أترابه
المعراء لم يتعوذ غير حش الكلام من أولئك الذين
ينظرون عائياً إلى صنية الأرفة كأشياء قدرة لا شأن
لها، وليس كفوس صغيرة مكلومة بأسهم^(١) اندهر
وسأله إذ ذاك قائلاً:

.. ما اسمك؟

فأجاب وعينه مطرقان إلى الأرض

.. اسمي فزاد!

قلت ابن من أنت وأين أهلك؟

(١) مقصود بهم لأن أسهم جمع سهم بمعنى نصب، وهم

الاقتصاد جزء من رأس المال؛ ومكلومة: مجروحة.

قال: أنا ابنُ مرتا الباتية

قلتُ: وأين والدك؟

فهز رأسه الصغير كمن يحهلُ معنى الوالد،

فقلت:

- وأين أمك يا فؤاد؟

قال: مريضةٌ في البيت.

تحرّعتُ منامي هذه الكماب الفلية من فم
الضبي وامنصّتها غواضي مُتدعة ضوراً وأشباحاً غريبة
مُحرّبة لأني عرفتُ بلحظة أن مرتا المسكية التي
سمعتُ جكايتها من ذلك القروي هي الآن في بيروت
مريضة تلك الضيئة التي كست بالأمس مُستأمنة
بـ^(١) أشجار الأودية هي اليوم في المدينة تُعاني
مصص^(٢) الفقر والأوجاع، تلك اليتيمة التي صرّفت
شيسنها على أكف الطبعه ترعى البقر في لحقول قد

(١) الأصل قور. مستأمنة إلى أشجار الأودية، أو أمة بـ
أشجار الأودية

٢ مضر: ألم، وجع

احدثت مع حزب نهر المدينة الماسدة وصارت
فريسة بين أظفار التعاسة والشقاء.

كنت أفكر وأتحل هذه الأشياء والضبي يطر
إلى كآته رأى بعين نفسه الطاهرة انسحاق قلبي. ولما
أراد الانصرف أمسكت يده قائلاً

- سِرْ بي إلى أمك لأنني أريد أن أراها!.

فسار أمامي صامتة متعجلاً، ومن حين إلى آخر
كان يطر إلى الوراء ليرى إذا كست بالحقيقة فتبعاً
خطواته

في تلك الأرقعة المدرة حيث يحتضر بهوء
ناعاس الموت، بين تلك الحمار، المالية حيث يرتك
الأشرار حرائمهم مخبئين بستاير الظلمة، وفي تلك
المعطقات الملتوية إلى السمين وإلى الشمال استواء
الأفعى السوداء، كست أسر بحوي ونهيب وراء
صبي له من حدائه وقوة قلبه شجاعة لا يشعر بها
من كان حراً بمكابد أحلاف^(١) لقدم في مدسة

(١) أحلاف جمع حلف وهو العليط الجافي.

يَدْعُوها الشَّرْقِيُّونَ غُرُوسٌ سُورِيَا وَدُرَّةٌ نَحْجُ السَّلَاطِينِ ،
 حَتَّى إِذَا مَا بَلَعُوا أَذْيَالَ الْحَيِّ دَحَلَ الصَّبِيُّ بَيْتَ حَقِيرًا
 لَمْ تَبْقَ مِنْهُ السُّنُونُ غَيْرَ جَانِبٍ مُتَدَاعٍ ، فَدَحَلْتُ خَلْفَهُ
 وَطَرَفَاتُ قَلْبِي تَتَسَارَعُ كُلَّمَا اقْتَرَبْتُ حَتَّى صَرْتُ فِي
 وَسْطِ عَرْفَةٍ رَطْبَةٍ الْهَوَاءِ لَيْسَ فِيهَا مِنَ الْأَثَاثِ عَيْرُ
 سِرَاجٍ ضَعِيفٍ يُعَالِثُ الطُّلُمَةَ سَهَامَ أَشْعَثَةِ الصَّمْرَاءِ ،
 وَسَرِيرٍ حَقِيرٍ يَدُلُّ عَلَى عَوِزٍ مُبْرِحٍ وَفَقْرٍ مُدْفِعٍ^(١)
 مُطْرَحَةٍ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ بَائِسَةٌ قَدْ حَوَّلَتْ وَجْهَهَا بِحُورِ
 لِحَائِطٍ كَأَنَّهَا تَحْتَمِي بِهِ مِنْ مَظْلَمِ الْعَالَمِ أَوْ كَأَنَّهَا
 وَجَدَتْ بَيْنَ جُدْرَانِهِ قَلْبًا أَرْقَ وَأَلْيَسَ مِنْ قُلُوبِ النَّشْرِ ،
 وَلَمَّا اقْتَرَبَ الصَّبِيُّ بِهَا مَادِيًا « يَا أُمَّاهَا » التَهْتَتَتْ
 إِلَيْهِ فَرَأَتْهُ يُومِئُ بِحَوِيٍّ فَتَحَرَّكَتْ إِذَاكَ بَيْنَ اللَّحُفِ
 الرُّثَّةِ ، وَبَصُوبِ مُوَحِّعٍ يَلَا حَقَّةَ أَلَمِ الْبُحْسِ وَلِتَنْتَهَدِ
 الْمَرْءَةُ قَالَتْ :

مَدَا تَرِيدُ أَيُّهَا الرَّحْلُ ؟ هَلْ حِثْتُ لَتَبْتَاعَ خِيَاتِي
 الْأَخِيرَةَ وَتَجْعَلَهَا ذَنْسَةً شَهَوَاتِكَ ؟ دَهَفَ عَنِّي وَالْأَرْقَةُ

١ - مَرَّحَ مُجَهِّدٌ شَدِيدًا ، مَعْبُودٌ فَفَرَّ مُدْفِعٌ لَا مَشِيرَ .

مشحونة بسساء الدواتي يغث أحسدهن وموسهن
أحس الأثمان. أفأنا فلم يبق لي ما أسغه غير
وصلات أنفاس متقطعة، عفا قريب يشترىها الموت
براحة القرا

فاقتربت من سريرها وقد ألمت كلماتها قلبي
لأنها مختصر حكايتها التعسة، وقتت متمياً لو كنت
عواطفني تسيل مع الكلام:

- لا تخافي مني يا مرتا وأنا لم أحي: كنت
كحيوان جائع بل كإنسان فتوح. أنا لساني عشت
رمياً في تلك الأودية والقرى القرية من عاة الأرض
لا تخافي مني يا مرتا!

سمعت كلماتي وشعرت دتها صادرة من أعماق
من تتألم معها، فاهتزت على مضجعتها مثل الفصا
العارية أمام رباح لشتاء، ووضعت يديها على وجهها
كأنها تريد أن تستر دتها من أمام الذكرى الهيدة
بحلاوتها، المرة بحملها. وبعد سكية ممروحة بالتأوه
صبر وجهها من بين كفتها حس حتمس فربيت حبيب

الغُيُوب. أنا كالأرصر^(١) الساكن بين القُور فلا
تقترب مني، لأنَّ لجامعة^(٢) تحسُّك دساً
وتُقْصِيك^(٣) عيها إذا فعلت ارجع الآن ولا تدكر
اسمي في تلك الأودنة المقدسة، لأنَّ المعحة الحرةاء
يُكرِّه راعيها خوفاً على قطيعه وإذا دكرتي قلَّ قد
ماتت مرَّتا البانيَّة ولا تَقُلْ غير ذلك.

ثمَّ أخذت يدي انتها الضعيرتن وقبَّنتهما بلهجة
وقالت مُشهدة:

سوف يطرأ الناسُ إلى ولدي بعين السُحرية
والاحتقار قائلين هذا ثمرَةُ الإثم، هذا ابنُ مرت
الزبية، هذا ابنُ العار، هذا ابنُ الصُدف سوف
يقولون عنه كثر من ذلك، لأنَّهم عُميان لا
يُصبرُون، وجُهلاء لا يدرون أنَّ أمَّه قد طهرت
طُفولته بأوحاعها وذمومها، وكفَّرت عن حياته

(١) الارصر لمصاب بالصرص، وهو مريضٌ يحدث في لحسه
قشراً أبيض يسبب للمريض حكاً مؤلماً.

(٢) المقصود المجتمع البشري.

(٣) تُقْصِيك. تُعَذِّبُكَ

تعبسها وشققنها سوف تموت وأتركه يتيماً بين
صبيان الأزقة، وحيداً في هذه الحياة القاسية، غير
تاركة له سوى ذكرى هائلة تُحجّنه إن كان حياً
حاملاً وتُهيّج دمه إن كان شجاعاً عادلاً. فإن حفظته
السماء وثبت رُحلاً قوياً ساعد السماء على الذي
حنى عليه وعلى أُمّه، وإن مات وتملّص من شبكة
لُسنين وخدسي مُترقّنة قدومه هناك حيث السور
والراحة!

فقلت وقلبي يُوجي إليّ «لست كالأبرص
يا مروت وإن سكّنت سن القُبور، ولست ذنبه وإن
وصعتك الحياة بين أيدي الدسّيس»^(١). إن أدرا^(٢)
الحسد لا تلامس النفس النقيّة، والشوح المُتراكمة لا
تُحيث الدُور الحيّة وما هذه الحياة سوى بيدر أحزاب
تُدرس عليه أعمار النُفوس قبل أن تُعطي عنتها.
ولكن ويلّ للساكن المتروكة خارج البيدر، لأنّ نمل
الأرض يَحْمِلُها وطيور السماء تنفّضُها، فلا تدخل

(١) ديسين: جمع ديس، والصواب أدناس ومداسين

(٢) أدرا: ح درن وهو الوسخ

أهراء^(١) رث الحفل^(٢)

أنت مصومة يا مرتا وطيفك هو ابن القصور،
دو المدد الكثير والسفس الصغيرة أنت مصومة
ومحتفزة، وحرر بالإسار ان يكون مظلوماً من ان
يكون طالماً، وأحق به ان يكون شهيد ضعف العريرة
اشرافية من ان يكون قوياً سحفاً بمناصبه رهور
الحياة، فثورها بثوبه محاسن لعواطف

السفس يا مرتا هي حنقة ذهنية معروطة من
سلسلة الألوهية، فقد تصهر النار الحامية هذه الحنقة
وتعير صورتها وتمخو حمل استدارتها، كنها لا
تحيل ذهبها إلى مادة أخرى، بل تريده لمعاد. ولكن
ويل للهشيم يد تأتي النار وتلتهمه وتخعه رماداً ثم
تهب لرياح وتذريه على وجه الصحراء^(٣)

(١) أهراء محارن، مواضع تجمع فيها حيوت الغنم من فصح وعمره

(٢) إشارة إلى قول المسيح في مثل لزارع ومفسره (متى ١٣ ١٠)

(٢١)

(٣) الألف ضرورة لصفل سبيبة الإنسان، ولا ترهب النفس إلا
بالألم

إي مرتنا، أنت زهرة مسحوقه تحت أقدام
الخيول المحتمة في الهياكل الشرية قد دسئت
تلك ليعال بقساوة، لكنها لم تحف عسكر المصاعد
مع نواح^(١) الأرامل وضراح اليتامى وتهديات الفقراء
بحر السماء مصدر العدل والرحمة. تعري يا مرت
كوكك زهرة مسحوقه ولست قدماً ساحقة^(٢)

كس أنكلم وهي مصعية^(٣) وقد أنارت نغرية
وحبها المصفر مشما تيز أشعة المغرب لطيفة حلاي
الغيوم ثم أومات إلي أن احلس على حاب السرير،
فعلت مسائلاً فلامحها المتكلمة عن فحدث بعسيها
الحرية ملامح من عرف أنه مائت ملامح صبية في
ربيع العمر قد شعرت بوقع أقدم الموت حول فراشها
البالي ملامح امرأة منروكة كست بالأمس بين أودية

(١) نواح. بكاء شديد

(٢) إذا كان لا بد من حيار بين أن يكون الإنسان حاداً أو يكون
مضطرباً، فخير به أن يكون مضطرباً. موقف سوف يستل في
«الأواح المصرفة» عندما يكون حاداً مسرود على نفسه

دسئت في مدحهم، جميع مدحهم مدحهم مدحهم

(٣) يحذر إضافة «إلي» ليستقيم المعنى.

لبیان الحميلة مملوءة حياة وقوة، فصارت اليوم
مهزولة تترقب الانعتاق من قيود الحياة. وبعد سكب
مؤثرة حمغت فضلات قواها وقالت ودموعها تتكتم
معها ونفسها تتصاعد مع أنفاسها:

نعم أن مظلومة، أنا شهيدة الحيوان المحتنى
في الإنسان، أأ رهرة مسحوقة تحت الأقدام. كنت
حالسة على حافة ذلك ليسوع عندما مر راكباً... قد
خاطبني بلطف ورقة وقال إني جميلة وبه أحني ولا
يتركني، وإن الرزية مملوءة وحشة والأودية هي
مساكن الطيور وبنات آوى ثم أبوى علي
وضممني إلى صدره وقتلني، وكنت لم أدق حتى
تدك الساعة طعم القلة لأنني كنت يتيمة متروكة
أردفني حلقة^(١) على ظهر الحواد وجاء بي إلى بيت
حميل منمرد. ثم أتى بالملايس الحريرية والعطور
الزكية والمأكلة اللذيذة والمشارب الطيبة .
فعل كل ذلك مشتماً سائر شاعة ميوله وحيوانية

(١) أوف أوك حيلة، ولا حيلة سألني في "حيلة" بعد

مرمه^(١) بالكلام اللطيف والإشارات للمستحقة
وبعد أن أشبع شهواته من حسدي وثقل بالدل نفسي
عادرني تاركاً في أحشائي شعبة حية ملتهمّة عدت
من كدي ونمت ثم خرجت إلى هذه الظلمة من بين
ذعان الأوحاع ومرارة العويل . وهكذا قسمت
حياتي إلى شطرين : شطرٍ ضعيف مُتألم ، وشطرنِ
صغيرٍ يصرخ في هذوء الليل ضالِبَ الرُخوع إلى
نمضاء لواسع في ذلك البيت المفرد تركي المظلم
ورصيعي نُقاسي مصصر الخوع والبرد والوحده ، لا
معين لنا غير البُكاء والسحب ، ولا سمير سوى
الخوف والهواجس^(٢) .

وعلم رفاقه بمكاسي وعرفو معوزي^(٣) وضعني ،
وجاء لواحد بعد الآخر وكلّ يبغني بتياع العرص^(٤)

(١) مراره : مقصده ، بعينه ، مراده .

(٢) المظلم : ضالِم ، نُقاسي : نحاسي ، متحضر الألب : مصصر

لخوع ألمه : لا معين لنا لا مساعد لنا لا سمير لا

مُسلي

(٣) معوزي : حاحي

(٤) العرص : شرف

قبضتُ على رُوحِي بيدي لتقديمها للأبدية، ثم أفندتها
لأنها لم تكن لي وحدي، فشريكِي بها كان ولدي
الذي أبعدته السماء عنها إلى هذه الحياة، مثلما
أقضي عن الحياة وألقيني في أعماق هذه الهوية...
والآن ها هي الساعة قد دنت وعريسي الموت قد جاء
بعد هجرانه ليقودني إلى مضجعه الناعم

وبعد سَكينة عميقة تشبه من لأرواح
للمنظيرة، رفعتُ عينيها المحجُوتين بظل المينة
وقالت بهدوء:

- أيتها العدلُ الخفي، الكامن وراء هذه الصور
المُحيفة، أنت أنت السامع عويل نفسي للمودعة وبداء
قلبي لمتهمل، منك وحدك أطلت وإليك أتصرخ،
فأرحمني ورع بئسناك ولدي، وتسلم يُشارك رُوحِي

وحارث قواها وصغمتُ تنهداتها، وبضرتُ بي
أنها نظرة حرٍ وحنو، ثم مَيتَ عينيها ببصرٍ وبصوتٍ
كأن يكون سَكينة قالت «أنا لَدِي هي

السموات يستقدس اسمك أنت ملكوتك
لتكبر مشيتك كما في السماء كذلك على لأرض
اغفر لنا ذنوبنا.

واقطع صوته، وصيت شتمها منحر كين
هبيته، ووقوفهم همدت^(١) كل حركة في حسده،
ثم حلت وتؤهت وبيض وجهه ووصت روحه
وصلت عياله محدقين إلى ما لا يرى.

عندما جاء الفجر وصعدت حنة مرابا البابية في
تاوت حشي، وحمدت على كتي فقيرين وذفت في
حق منخور بعيد عن المدينة، وقد رقص الكهان
الصلاة على بقاياها ولم يقلوا أن ترتاح عظامها في
الحنة^(٢) حيث لصلبت يخمر^(٣) ثبور، ولم
يشيعها^(٤) إلى تلك الحفرة السعيدة غير أنها وقتي أحر
كنت مصاب هذه الحياة قد علمته الشقة.

(١) همدت: سكنت، توقفت عن الحراك.

(٢) الجنة. حيث يقبر (يدفن) الأموات.

(٣) يحفر: يحرس، يرمى، يحمي.

(٤) لم يشيعها: لم يرافقها في رحلتها لأخيرة إلى الله.

يوحنا المجنون

١

في أيام الصيف كان يوحنا يسيرُ كُلَّ صباح إلى
الحقل سائقاً ثيرانه وعُجُوله، حاملاً محرثته على
كتفيه، مُصعياً لتعارييد الشحارير وحفيف أوراق
الأعصاب. وعند الطهيرة كان يقترب من الساقية
المتركضة بين مُحفصات تلك المروج الحصراء ويأكل
رده تاركاً على الأعشاب ما بقي من الخبز للعصافير.
وفي المساء عندما يترعُ المعربُ دقائق النور من
الفضاء، كان يعودُ إلى البيت الحقيقير المشرف على
القرى والمزارع في شمال لبنان، ويحلسُ سكية مع
والديه الشيخين مُصعياً لأحاديثهما "المملوءة بأحبار
الأيام شاعراً بدنو العُحاس والراحة معاً.

١ - مصعياً إلى بيت من الأصوات

وفي أيام الشتاء كن يتكىء مستدواً بقرب
لنار، سامعاً تأوّه الأرياح ويذب العاصر، مُفكراً
بكيفية تنابع لفصول، باطراً من الكوة الصغيرة نحو
الأودية المكتسية بالثلوج، والأشجار العارية من
الأوراق كأنها جماعة من الفقراء تركوا حارحاً بين
أطمار البرد القارس والرياح الشديدة.

وفي الليالي الطويلة كان ينقى ساهراً حتى يسم
والده ثم يفتح الحزانة الخشبية ويأتي بكتاب العهد
الحديد، ويقرأ منه سراً على نور مسرحية ضعيفة،
متلفتاً لتحذر بين الآونة والأخرى نحو والده النائم
الذي معه عن تلاوة ذلك الكتاب، لأن الكهنة نهوا
نسطاء القلب عن استطلاع حقايا تعاليم يسوع
ويحرمونهم من «العم الكيسة» إذا فعلوا.

هكذا صرف بوحته شمسهُ من الحفل المملوء
بالمخاسين والغرائب وكتب يسوع المُفعم بالنور
والروح كان سكوباً كثير التأملات يُصغي لأحاديث

= مصه في تغاريد الشعارير، و: مصعباً إلى أحاديثهما

وَلَدَيْهِ وَلَا يُحِيبُ بِكَلِمَةٍ، وَيَسْقِي بِأُورَانِهِ صُفْيَانًا
وَيُحَالِشُهُمْ صَامِتًا نَاطِرًا إِلَى الْعِيدِ حَيْثُ يَلْتَقِي شَتَقُ
بَارِرْفَاقِ السَّمَاءِ. وَإِذَا مَا دَهَبَ إِلَى الْكَيْسَةِ عَدَدُ
مُكَنَّتْ، لِأَنَّ السَّمْعَالِيمَ الَّتِي يَسْمَعُهَا مِنْ عَلَى الْمَصَارِ
وَالْمَدَابِجِ هِيَ عَيْرُ الَّتِي يَقْرَأُهَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَحَبِيبُ
الْمُؤْمِسِينَ مَعَ رُؤُسَائِهِمْ هِيَ عَيْرُ الْحَيَةِ الْحَمِيمَةِ الَّتِي
تَكَلِّمُ عَنْهَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ.



حَاءُ أَرْسَعُ وَأَصْمَحَلْتُ الشُّلُوحُ فِي الْخُفُوفِ
وَالْمُرُوحِ، وَأَصَحَحْتُ بَقَايَاهَا فِي أَعْيِ الْحِمَالِ نَدُوبِ
وَتَسِيرُ حَدُولِ حَدَاوٍ فِي مُعْصَنَاتِ الْأُودَةِ، وَبِحَتْمِ
أَنْهَرًا عَرِيرَةً تَتَكَلَّمُ بِهَدِيرِهَا عَنْ بَقْطَةِ الصَّبِيغَةِ، وَزَهْرَتِ
أَشْحَارِ اللَّوْرِ وَالْتَفَاحِ، وَأُورَقَتِ قُصَصِ الْحَوْرِ
وَالصَّفْصَافِ، وَتَسْتِ الرُّوَانِي أَعْشَابُهَا وَزَهْرُهَا،
فَتَعْبُ يُوحِنَا مِنَ الْحَيَةِ بِحَنْبِ الْمَوَاقِدِ، وَعَرَفَ أَنْ
عُحُولَهُ قَدْ مَنَتْ صَبِيقُ الْمَرْصِ، وَشَتَقَتْ إِلَى
الْمِرَاعِي الْحَضْرَاءِ، لِأَنَّ مَخَارِبَ نُسِ قَدْ شَحَتْ،
وَبَلَّ سَعِيرُ قَدْ سَدَّ فَجَاهُ حَبِيبِ عَاشِمِ

نفسه ذكرى مأساة «اس البشر» وسهية حياته على الأرض.

كانت العصفير ترفرف مساجية حول يوحنا،
وأسراب الحمام تنطارُ مُسرعةً، وانرهوز تتمايل مع
السيم كأتها تتحمم^(١) بأشعة الشمس، وهو يقرأ في
كتبه تنفّر^(٢) ثم يرفع رأسه ويرى قُب الكنائس في
المُذن والقري المثورة على حاسي الوادي، ويسمع
طير أحراسها فيعمض عييه وتسبح نفسه فوق أشلاء
الأحيال إلى أورشليم القديمة مُتعة قدام يسوع في
الشوارع سائلة العرين عنه فيحبونها قائلين - هب
شفي العميان وأقام المُقعدين. وهناك ضفروا له إكليلاً
من الشوك ووصغوه على رأسه - في هذا الرواق وقف
يكنم الحُموع بالأمثال، وفي ذلك القصر كثفوه على
العمود وبصفوا على وجهه وحلدوه - في هذا الشارع

(١) المقصود بسحيم وقد دافع نفسه عن هذا لفظاً في مقدمته
«يقب بصفادع» معرباً كيف يحور بجاهلي أن يشق مفردات
ولا يحور لأن هذا العصر أن يحدو حدوه.

(٢) تنفّر: تروّ وتعمّق. وتمن في الأمر. د. د.

عمر للراية خطاياها، وفي ذلك وقع على الأرض
تحت أثقال صليبه.

ومرّت الساعة ويوحنا يتألّم مع الإله الإنسان
بالجسد، ويتمجّد معه بالروح، حتى إذا ما انتصب
الهارّ قام من مكابه ونظر حوله فلم ير عُجُوله،
فمشى مُلتفتاً إلى كلّ ناحية مُستعرباً احتفاءها في تلك
المُروح السهلة ولما بلغ الطريق المُنحنية بين الحُقُول
احياء حُطوط الكف رأى عن بُعد رجلاً سملاس
سوداء واقفاً بين الساتين، فأسرع نحوه، ولما اقترب
منه وعرف أنّه أحد رُهبان الدير، حيّاه بحني رأسه ثم
سأله قائلاً «هل رأيت عُجُولاً سائرة بين هذه
الساتين يا أنتاه؟» فنظر إليه الراهب مُتكئاً إحماء
حفه^(١) وأجاب بحسّ. «نعم رأيتها فهي هناك، تعال
وانظرها».

فسار يوحنا وراء الراهب حتى بلغا الدير، فإد
بالعُجُول ضمن خطيرة واسعة مُوثقة بالحيال يحمرّها

(١) حقه - عصه

أحد الزهاد وفي يده ثوب^(١) يجلدها به كيما
تحركت. وإذا هم يوحى ليقوده أمست أرهاق بعاءته
وانتفت نحو رواق الدير وصرح بأعلى صوته «هوذا
الراعي المحرم قد قصت عليه».

فهرون القسوس والزهاد من كل ناحية يتقدمهم
الرئيس وهو رجل يمتاز عن رفاقه بنحافة أثوابه
واقصاص سحته^(٢)، وأحاضوا يوحى كخمود
المسابقة على الفريسة، فطر يوحى إلى الرئيس وقال
لهؤلاء «ماذا فعلت لأكون محرمًا، ولماذا فصلتكم
علي؟»

فأجبه الرئيس وقد سبب القسوة على وجهه
العضوب، وبصوت حشيش أشبه بصيرير المشير^(٣)
قال «قد أربعت غحوثك رزع الدير وقصمت قصاص

(١) أسود صرغ سائب من شجرة^١ ويصنع على أعصا صلبة.

صلبة

(٢) سحة أجيبة

٣١ - - - - -

ولحظ

أَنْ تَتْرَكِي أَذْهَبُ عُمْحُولِي لَا تُكْرِ قَاسِي لِقَلْبِ
عَلِيٍّ، وَأَنْ فَقِيرٌ مَسْكِينٌ وَالْدِيرُ عَيٌّْ عَظِيمٌ، فَهُوَ
يُسَامِحُ تَهَاْمُلِي^(١) وَيَرْحَمُ شَيْحُوْحَهُ وَالْدِيَّ.

فَلْتَقِ إِلَيْهِ الرَّئِيسُ وَقَالَ بِهَرِّ: «لَا يُسَامِحُكَ
الدِيرُ بِمِثْقَالِ دُرَّةٍ أَتَيْهَا الْحَاهِلُ، فَقِيرًا كُنْتُ أَمْ غَبَا،
فَلَا تَسْتَخْلِفْنِي بِالْأَشْيَاءِ الْمُقَدَّسَةِ لِأَنَا أَعْرِفُ مِنْكَ
بِأَسْرَارِهِ وَحَفَايَاهَا، وَدِ شَيْتَ أَنْ تَقُودَ عُمْجُولَكَ مِنْ
هَذِهِ الْمَرَاصِ فَاغْدَهَا^(٢) ثَلَاثَةَ دَنِيرٍ لِقَاءِ مَا الْهَمْتُ
مِنْ الزَّرْعِ».

فَقَالَ يُوْحَنَّا بِصَوْتٍ مُخْشَقٍ: «إِنِّي لَا أُمِيتُ
دُرَّةً^(٣) وَاحِدَةً يَا أَبَتَاهُ. فَأَشْهَقُ غَدِيَّ وَرَحِمَ فَقْرِي».

(١) المقصود: إهمالي.

(٢) عندما دفع دبة لقاء الضرر الذي أحدثت سعيده بك،
لمراض: الموضع التي ترك (تقعد) فيها

(٣) دارة واحدة من أبعمه (المراد سداول) كنت رائحة أديم
الأسرّة وهذه اللوحات كانت تسمى التلّك، الدرة،
المتلك، المحبوبة.

فأحباب الرئيس بعد أن مشط لحبته الكثيفة
أصابعه «أدهت ويغ قسماً من حقلك وغذ ثلاثة
دباير، فحير لك أن تدخل اسماء بلا حقل من أن
تكتسب غضب إيشاع العظيم واحتجحت أمام
مديحه، وتهبط في الآخرة إلى الحميم حيث لـ
المؤنثة».

فسكت بوحنا دقيقة وقد أترقت عيده وأنبسط
محبته وتندلت لوائح^(١) الاسترحام بلامح القوة
والإرادة، فقال بصوتٍ متمرخ فيه غمه، المعروفة بعزم
الشبية «هل يبيع المقر حقه منحت حزه ومورد
حيته لبصيف ثمنه إلى حرائر الدير المضعمة^(٢) بالقصة
والذهب؟ أمن العدل أن يزداد المفيض فقراً ويموت
المسكين جوعاً كيما يغفر إيشاع العظيم دنوب بهائم
جائعة؟»

فقال الرئيس هاراً رأسه استكداراً هكذا يقول

(١) لوائح: مطامر

(٢) المضعمة: الممتلئة

يسوع المسيح «من له يُعْطَى ويُرد، ومن ليس له
تُؤخذ منه»^(١).

سمع توحش هذه الكلمات وصطرب قلبه في
صدره، وكثرت بقلبه، وتعاث قلبه عن ذي قبل،
كأن الأرض قد سمت تحت قدميه، فتمثل لأحبي
من حبه كما يستل الأخذ بي سبيله^(٢) لنمدايعه، وصرح
قائلاً:

«هكذا تتلاعبون بتعاليم هذه الكتب أيها
المراؤون»^(٣). هكذا تستخدمون أقدس ما في الحياة
لنعمية شُرور الحياة فويل لكم إذ يأتي ابن البشر»
ثانية ويُخرب أديرتكم ويُلقي حجارها في هد
الوادي، فحرقاً بالنار مدحككم ورشومكم وتمثيلكم،
ويل لكم من دم يسوع الركيّة ودموع أمه الصاهرة،
إذ تسقيب سبلاً^(٤) عليكم وتحرفكم إلى أعماق

(١) متى ٢٥ : ٢٩.

(٢) ليس سبيله يخرج من عمده وبعده هو بيت نسيب

(٣) المراؤون: المحادعون.

(٤) سبلاً: ماء حارفة

الهاوية! ويل وألف ويل لكم أيها الحاصفون لأصم
مصامعكم، الساترون بالاثوب السوداء سودد
مكروهااتكم، المحركون بانصلاة شفهكم وقرونكم
جامدة كالصخور، الراكعون بتذليل أمام المدايح
ونفوسكم متمردة على الله.

قد قدنموسي بحديثي^(١) إلى هذا المكان المملوء
بأثامكم، وكمحرم قبضتم علي من أجل قبيح من
الزرع نستسنة الشمس لي وأنكم على السواء، وما
استغففتكم باسم يسوع، وسخفتمكم بأيام خوره
وأوجاعه استهزأتم بي كتي لم أنكنم بعير الحماقة
والخهالة.

خذوا واحثوا في هذا الكتاب وزوسي متى لم
يكن يسوع عمورا؟ وافرأوا هذه الماثة السماوية
وأخزوسي أين كنتم بعير الرحمة والرافد، أفي موعظته
على الحبل، أم في تعاليمه في الهبكل أمام مصطهدي

(١) حياث من حيث صدد

تلك لرؤية المسكينه، أم على الحُخلة^(١) عند سطر
ذراعينه على الصليب ليضمّ الحس الشري

انظروا يا قساة القلوب إلى هذه الممدد والقري
المقيرة، ففي مارلها يتنوى الموصى على أسيرة
الأوجاع، وفي حوسها^(٢) تهي أيتام البائسين، وأمام
نواها يتضرع المتسولون، وعلى طرقتها بنام لغراء،
وفي مقارها تشوخ لأرايل وليتمى، وأنتم ههه
نتمتعون براحة التواني ولكس، وتتلذذون بشمار
الحقول وحمور الكروم. فم تروروا مريضاً، ولم
تفتقدوا سجيناً، ولم تطعموا جائعاً، ولم ترووا عرياناً،
ولم تعرفوا حزيناً^(٣) وليسكم تكفون بما لديكم
وتفتنّون بما عتصنتم من حدودنا واحتيالكم، فأنتم
ممدون أيديكم كما تمأ لأفعي رؤوسها، وتقضون
شدة على ما وفرتة الأرملة من عمل يديها وما ألقاه
الفلاح لأيتام شيخوخته»

(١) حُخلة = حجر الذي ضرب عليه سيد المسيح

(٢) حوسها = سجونها.

(٣) إشارة إلى حوار سيد المسيح مع هذا يسير والمترجم

وسكت يُوحنا ريثما استرجع أنفاسه ثم رفع رأسه مخبرٍ وقال يهدوء. «أنتم كُثَارُ هُها وأنا وحدي افعلوا بي ما شئتم، فالذئبُ تفرسُ السحرة في طُلْمة الليل لكن اثار دماؤها تبقى على حصاء الودي حتى يجيء الفجرُ وتطلع الشمس».

كأن يُوحنا يتكلم وفي صوته قُوَّةٌ عبويَّةٌ توقف في ابدان الرُهاب الحركة وتُثيرُ في نفوسهم العيظ والسحرة، ومثل غربانٍ حائجةٍ في أقفاصٍ ضيقةٍ كانوا يرنحون عصياً وأَسائهم تصرفُ شدةٍ مُترقِصٍ من رئيسهم إشارةً لِمُرْقُوهِ^(١) تمرقاً ويسحقوه سحقاً، حتى إذا ما انتهى من كلامه وسكت سكوت العصاة بعد تكسيرها الأعصاب المتشامخة والأنصاب الياسه، صرح الرئيسُ بهم قائلاً «اقبضوا على المُحرّم الشقي وبعروا منه الكتب وخرّوه إلى حُجرةٍ مُطمِئِه من الدّير، فمن يجدفُ على مُحترمي الله لا يُعمرُ له ههنا ولا في الأبدية»

(١) دفعاً للاعتناس في المعنى لا بد من ذكر يوحنا لأن «مُرْقُوهِ»

فَهَجَمَ لِرُهْمَانِ عَنِ يُوْحَتٍ فَحُومِ الْكَوْ سِرِ
عَلَى الْمَرْبِيسَةِ وَقَدْوُهُ مَكْنُوفًا إِلَى خُحْرَةِ صَيْقَةِ
وَأَقْبَسُوْا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ يَهْكُوا جَسَدَهُ بِخُشُوْنَةٍ كُفِّهِمْ
وَرَقَسَ أَرْجُلِهِمْ.

فِي تِلْكَ الْعُرْفَةِ الْمُطْطَمَةِ وَقَفَ يُوْحَتٌ وَقَعَةً
مُنْتَصِرٍ تَوْفِقَ الْعَدُوِّ لِأَسْرِهِ، وَنَظَرَ مِنَ الْكُوَّةِ الصَّغِيرَةِ
لِلْمُطَنَّةِ عَلَى الْوَادِي لِمَمْلُوءِ سُوْرِ الْبَهْرِ، فَتَهَلَّلَ وَحَمَّهَ
وَشَعَرَ بِلَذَّةِ زَوْجِيَّةٍ تَعَانِقُ نَفْسَهُ وَطُمَأْنِينَةٍ مُسْتَعْدِيَةٍ تَمْلِكُ
عَوْصِفَهُ، فَالْخُجْرَةُ الضَّيْقَةُ لَمْ تَسْخَرْ عِبرَ حَسَدِهِ، أَمَّا
نَفْسُهُ فَكَانَتْ خُرَّةً تَتَمَوَّخُ مَعَ النِّسِيمِ بَيْنَ الصُّلُولِ
وَالْمُرُوحِ، وَأَيْدِي الرُّهْمَانِ الَّتِي أَلَمَتْ أَعْصَاءَهُ لَمْ تَمَسَّ
عَوْصِفَةَ الْمُسْتَأْمَنَةِ سِوَا رِيسُوْعِ الْبَاصِرِيِّ وَلِمَرْءٍ لَا
تُعَدُّهُ لِاصْطِهَادَتْ إِذَا كَانَ عَادِلًا، وَلَا تُقْنِيهِ الْمَظْلَمَ
إِذَا كَانَ سَحَابًا لِحَقٍّ، فَسُقْرَاطُ^(١) شَرِبَ لِسَمِّ

(١) سُقْرَاطُ فِيلَسُوفٌ يُونَانِي (مَيَّو ٤٧٠ - ٣٩٩ ق م) أَحَدُ

ثَوَرِهِ فِي اخْتِلَافَةِ أَسْلُوْبِهِ وَفِكْرِهِ أَتَّهَمَهُ أَحْصَامُهُ بِاِرْتِدَاقِهِ
وَحُكْمُوا عَلَيْهِ بِالْإِعْدَامِ فَفَضِّلَ الْمَوْتَ عَلَى الْهَرَبِ حَتَرَمًا
لِشَرَائِعِ مَدِينَتِهِ. شَرِبَ السَّمَّ لَمَاتَ فِي سَجْنِهِ.

مُتَسَمًّا، وَنُوسُسٌ^(١) زَحَمَ فَارِحًا^(٢) وَلَكِنْ هُوَ الصَّمِيرُ
الْحَمِيُّ نَحِيفَةٌ فَيَوْحِفُ، وَنَحْوُهُ فَيَنْصِي عَيْبًا

وَعَلِمَ وَالِدَا يُوحَا مَا حَرَى نَحِيدَهُمَا، فَجَاءَتْ
أُمُّهُ إِلَى الدَّيْرِ مُسْتَعِينَةً بِعَصَاهُ، وَتَرَمَتْ عَلَى قَدَمِي
الرُّؤُوسِ بَدْرُفُ الذَّمُوعِ وَتَقَطَّلَ بِيَدَيْهِ لِيَرْحَمَ سَهَا وَيَعْمُرَ
حَبْلَهُ فَقَالَ لَهَا بَعْدَ أَنْ رَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ كَمَا تَرَفَّعُ
عَنِ الْعَالَمِيَّاتِ^(٣) : «لَحْنُ نَعْمَرُ ضَمِنَ اسْكُ وَنُسَامُخُ
خَوِيهِ وَلَكِنْ لِنَذِيرِ خُفُوقٍ مُقَدَّسَةٍ لَا نَدَّ مِنْ اسْتِيْثَانِهَا
نَحْنُ سَامُخُ تَتَوَاضَعُ رَلَاتُ^(٤) لَسَسُ، أَمَّا الشَّعْخُ
الْعَظِيمُ فَلَا يَسَامُخُ وَلَا يَعْمُرُ لِمَنْ يَتَدَفَّقُونَ^(٥) كَرُومَهُ
وَيَرْتَعُونَ زَرْعَهُ».

(١) نوسس سمه (لاول شؤن) هتدى على صربو دمشق نحو سمه
٣٣ ويعقد على يد حبيب، ثم حننى فى شمس حريرة العرب
مده ٣ سنوات بشر بعدها تشير للأمم وثلة فكان رسول
الاعتدال خمس مرات فى القدس وسو إلى روما حيث قُصع
رأسه سمه ٦٨. يُصو عنه لقب «رسول الأمم»

(٢) المقصود: فرحاً.

(٣) العالميات: الدنيويات.

(٤) زلات: سقطات، خطايا.

(٥) يتلمون، يهلكون.

فطُرث إليه الولدُ و لدمع يسسكت على
وحتنئها المتحعدتين بأيدي الشئحوحة، ثم مرعت
قلادة^(١) فضية من عنفها ووصعتها في يده قائدة
«ليس لدي غير هذه القلادة يا ابنه، فهي عطية
ولدي يوم اقتراني، فثقلها لدير كفرة عن دنوب
وحيدي».

فأخذ الرئيس القلادة ووصعها في حبه ثم قال
ووالدة يوحنا ثقل يده شكرًا وامتنانًا «ويل لهذا
الحيل، فقد انعكست فيه آيات الكتب وأصبح الآساء
ياكلون الحضرم والآساء يضرشون^(٢)» دهسي أثنها
المرأة الصالحة وصني من حل است المحبون لتشفية
السماء وتعيد إليه صوابه^(٣).

وخرج يوحنا من أسره ومشى سطرًا أمام عمحوله
بحاب أمه المصحية على عصاه تحت أثقال السنين،
ولم يلع الكوج قاد العحول إلى معالها^(٤) وحلس

(١) قلادة: ما يجعل في العنق من الجلي.

(٢) إشارة إلى قول السيد المسيح

«... لا تتركوا أنفسكم يذبحكم الناس...»

بَسْكِينَةِ قَرَبِ النَّاظَةِ يَتَأَمَّلُ اصْصَحْلَالَ سَوْرِ السَّهَارِ، وَبَعْدَ
هَبِيهَةٍ سَمِعَ وَبَدَأَ يَهْمِسُ فِي أَدَبِ مُنَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ
«كَمْ عَرَصَنِي يَا سَارَةَ عِنْدَمَا كُنْتُ أَقُولُ لَكَ إِنَّ وَدَدَ
مُحْتَلِّ الشُّعُورِ، وَالْآنَ أُرَاكَ لَا نَعْتَرِصِينَ لَأَنْ أَعْمَانَهُ
قَدْ حَقَّقْتُ كَلَامِي وَرَنَيْسَ الدَّرَجِ الْوَقُورِ قَدْ قَالَ لَكَ
الْيَوْمَ مَا قُلْتُهُ أَنَا مِنْذُ سَتَيْنِ»

وَطَلَّ بُوحَتًا نَاصِرًا بِحُورٍ لَمَعَرَبَ حَيْثُ الْغُبُورُ
مُتَلَنِّدُهُ مَتَوَنِّةٌ بِشُعَّةِ الشَّمْسِ

٢

حَاءَ عِيدِ الْفَصْحِ وَتَذَرُ لَا يَقْضَعُ عَنْ الْمَاكِ
بِالْكَثَارِ مِنَ الْمُشْتَهَبَاتِ، وَكَانَ قَدْ نَمَتْ سَاءَ الْهَيْكَلِ
لِحَدِيدِ الْمُتَعَالِي بَيْنَ الْمَسَاكِ فِي مَدِينَةِ شَرْيِ
كَصْرَحٍ^(١) أَمِيرِ قَانَمِ بَيْنَ أَكُوحِ الرِّعْدِيَا. وَكَانَ الْقَوْمُ
يَتَرَقُّونَ قُدُومَ أَحَدِ الْأَسَاقِمَةِ، لَتَكْرِيسِهِ وَيَقْدِيسِ
مَدْرَحِهِ، وَلَمَّا شَعَرُوا بِدُنُوهِ حَرَّجُوا ضُفُوفًا ضُفُوفَ

(١) صَرْح: قصر.

على الصريق وأدخلوه المدينة بين تهليل لمتن
وتسايح الكهنة وأصوات الصُّوج وطير الأحرار
والمواقيس ولم ترُحل عن فرسه المُردي بسُرح
المُزركش والبحام^(١) المضي، فانه لأئمة وارُعماء
مُستطاب الكلام، مُترُحين^(٢) به بالمصائد والأشيد
المُضدزة بالمديح والمُديلة بالنبحيل^(٣). حتى إذا
ما بلغ الهيكل الجديد ارتدى للملابس الخضرية^(٤)
الموشاة بالذهب، وأبس النخ لمُرضع بالخواهر،
وبعد عصا لرعية لمُثقة بالنقوش البديعة والحدادة
لكريمة، وطاف حول الهيكل مُغماً مع الكهنة
الضلوات ولتقاسم، وقد صاعدت خوله روائح
النُخور الطيبة، وشعشت الشموع لكثيرة

وكان يُوحنا في تلك الساعة وقفاً بين الرُعة

(١) لسرح ح سُروح رُحل، وهو ما يوضع على ظهر بعير أو
الحيل وما شابه وعلب ستماله بالحيل، للمحم ما يُجعل في
فم لفرس من الحديد مع بحكمش وانرارير وسير

(٢) المقصود: مُترُحين.

(٣) التجيل: لتعظيم، المديح الصالح فيه

(٤) ملابس الحررة، العلاس لمناسبة لربته لأمنته

والرارعين على زواقي مُرتفع ينأمل عيسيه الحريتين هدا،
المشهد، ويتنهّد ممررةً وبتأقوة بعضات فووحة يد يرى
من الحجه الواحدة ملاس حريرة فطررة، وأوسي
دهينة مُرضعة، وماسر ومشاعل فضينة ثمينه، ومن
الأخرى حماعة من الفقراء والمساكين الذين أتوا من
القرى والمرارع الصغيرة يشهدون بهجه هذا الفصح
والاحتفال بتكريس الكنيسة من الحجه الواحدة عظمة
ترتدي القطيفة والأضالس^(١)، ومن لأخرى تعاسة
تلتف بالأطمار البالية^(٢).

ههب منه قوة عمية يمثل الدين بالتعزم
والتعزيم، وهناك شعبت صعبت مُحترق بفرخ سرًا
قيامه يسوع من بين الأموات ويصلي بسكية هدمًا
في مسامع الأثير تهديدات حارة صادرة من أعماق
القلوب الكسيرة ههب رؤساء ورُعماء لهم من
سلطتهم حياة أشبه شيء بأشجار السرو دت

(١) القطيفة ح ثقف وقصيف دثار محمل بفسه نرحل على
نفسه لأفصر ح أصب، وهذا هو ح مساح

(٢) الأطمار: ح طمر: الثوب البالي.

لا حصر للآلآت، وهناك نساء وررغون بهن من
خضوعهم حياة تشبه سقيفة، رننها لموت وقد
كسرت لأمواخ دفنهن، ومزقت لرياح شرعهن،
نامست في هبوب وضغود، بين عصب اللخة وهوب
عاصفة ههب الاستداذ الفسي، وهناك الخضوع
لأعنى وأيهما كب مولداً للأحره هن الاستد
شجرة قوية لا نست في غير لثرة لمحمصة، ثم هب
الخضوع حقل مهجور لا تعيش فيه عبر الأشواك

بهذه التملات الأليمة وهذه لأفكار المعبدة كان
يوحنا مشغولاً وقد بكر^(١) ريدنه على صدره كأن
حنجرته قد صاقت عن أنفاسه وحرف أن يتمرق صدره
حاحر ومافد حتى إذا ما انتهت حملة الكرس
وهم الشعب بالانصراف والتمرق، شعر بأن في الهواء
روحاً تنتدنه وعظاً عها، وفي المحموج قوة لحرك
روحه وثوقفه حضناً أمم السماء ولأرض أسر إردنه،
فتقدم إلى طرف لزواق ورفع عييه وأشار بيده نحو

١٠٠

علاء، وبصوت عظيم بسدعي لمسامع ويستوقف
النواظر صرخ قائلاً:

انظر يا يسوع يا مصري، محاسن في قلب ديرة
نور لأعلى نظر من وراء لفنة لرقاء إلى هذه
لأرض التي لست بالأمن من عاصرها ردة انظر
أيها الحارس الأمين، فقد حقت أشوك الوعر^(١)
أعاق الزهور التي أنعشت بدورها عروق حيث انظر
أيها الراعي الصالح، فقد نهشت محلات الوحوش
صدوع الحمل الضعيف الذي حمته على مكنت
انظر قدماؤك الركبة قد عرت في بطن الأرض،
وذمعت السحابة قد حفت في قلوب البشر،
واندست الحرة قد تصفصعت أمام ربح الصحراء،
وأصبح هذا حفن الذي قدسته قدمك ساحة قدي
تسحو فيها حرفز لأقوياء صنوع خطر حين، وتسرع
كف ظلمين بهج الضعفاء

إن ضراح لتدس من المتصاعد من حوائط هذه

(١) الوعر القفر المكان الصلب

نُظْلِمَةُ لَا يَسْمَعُهُ لِحُسُونِ دَسْمِكَ عَنَى لُغْرُوشِ،
وَنُوحِ الْمَحْزُوزِينَ لَا تَعِيهِ آدَانُ لِمُتَكَلِّمِينَ بِتَعَالِيمِكَ
فَرَقِ الْمَسَارِ، وَحِرَافِ لَتِي بَعَثْنَاهَا مِنْ أَحَلِّ كَلِمَةِ
الْحَيَاةِ قَدْ انْقَلَبَتْ كَوَاسِرُ ثَمَرُوقَ نَائِيهَا أَحْمَحَةُ حُرُوفِ
سَتِي صَمَفْنَاهَا بِدِرَاعِيكَ، وَكِدْمَةُ الْحَيَاةِ الَّتِي أُرْسِنَاهَا مِنْ
صَدْرِ اللَّهِ قَدْ تَوَارَتْ فِي نُصُورِ الْكُتُبِ وَقَدْ مَتَامَاهَا
صَجِيحُ مُحِيفٍ يَرْنَعُدُ مِنْ هَوْلِهِ الْفُوسُ

لَقَدْ أَقَامُوا يَا يَسُوعَ لِمَحْدِ أَسْمَائِهِمْ كِسَائِسَ
وَمَعَادِ كَسُوْهَا بِحَرِيرِ مَسْجُوحِ وَالذَّهَبِ الْمُدَوَّبِ،
وَسَرَكُوا أَجْسَادَ مُحْتَارِيكَ الْفُقَرَاءِ عَارِيَةً فِي الْأَرْقَةِ
سَارِدَةٍ، وَمَلَأُوا الْمَصَاءَ بِذُحَالِ الْبُحُورِ وَالْهَيْبِ
السُّمُوعِ، وَتَرَكُوا بَطْنُونَ الْمُؤْمِسِ بِأُتُوْهِيتِكَ حَالَةً مِنْ
الْحُرِّ، وَأَفْعَمُوا "أَهْوَاءَ الْتَرَاتِيلِ وَتَسْبِيحِ، فَمَنْ
يَسْمَعُوا بَدَاءَ ائْتِمَى وَبِهَيْدَاتِ الْأَرْمَلِ.

تَعَالِ ثَابِتَةً يَا يَسُوعَ الْحَيُّ وَظُرُودُ نَاعَةِ نُدَسٍ مِنْ
هَيَاكُنِكَ، فَقَدْ حَمَلْنَاهُ مَعْدُورَ تَلَوَى فِيهَا أَعْيِ

(١) أَعْمَرُوا مَلَأُوا

روغهم^(١) واحتياهم نعل وحاسب هؤلاء
 البصيرة^(٢)، فقد اعتصموا من ضعماء ما لهم ومن
 لله تعالى وانظر الكرامة التي عرسها بمنك، فقد
 أكلت حدوعها نديد، وسحقت عباقيدها أقدام من
 السيل^(٣) تعالى وانظر الذين ائتمنهم على السلام،
 فقد انقسموا على ذواتهم وتحاصموا وتحاربوا، ولم
 تكن شلاء خروهم غير نموسنا المحزون وقلوب
 المضنكة.

في أعينهم واحتملاتهم يرفعون أصواتهم
 حسارة فائلين محمداً له في غنى وعلى الأرض

(١) روغهم: مكرهم

(٢) البصيرة جمع قصر، وهو لقب صديقه رومة في عهده،
 ويسمى في السراج حديث، وقد عمم خبره من هذا
 اللقب على السلاطين

(٣) كناية مستمدة من آيات بحالية نصر ياب في الأرمي
 (مسي ٣، ١٢، ١٣، ٢٣، ٣٣)، ولأنه يسمى من
 اتصاله يدعى (مسي ٢١، ٣)، ولأنه لا يقطع من القصة
 من ٢٢ إلى ٢٣، ولأنه من ٢٤ إلى ٢٥،
 (يوحنا ١٥: ١-٣).

السلام وباشئس لمسرة^(١). فهل يتمخذ شك
السمائي نر تعط سمه لشدة لأثمة و لأثمة
الكاذبة؟ وهل على الأرض سلاة ونبء الشفاء في
لحقول يفتون فواهم أدم وحه الشمس ليطعمو
لقوتي ويملاوا جوف الضالم؟ وهل ساس مسرة
وسوء ينضرون بأعبي كسيرة إلى الموت بظره
المغلوب إلى المنقذ؟

ه هو السلام ي يسوع الخيو هل هو في أعين
الأطفال المكثير على صدور الأمهات الحدثات في
امبرل المظلمة السرده؟ أم في حساد المعورين
لئامين على أسرة خحرية يتمنون القوت^(٢) لذي
يرمي به قسن لدير إلى حديرهم المسمنة ولا
يحصلون عليه؟

ه هي لمسرة ي يسوع لحميل، نر يشتري
الأمير بمصلات الفضة قوت الرحار وشرف نساء،

(١) لوقا (١: ١٤).

(٢) القوت: من قات بقوت الرجل قه وأعطاه لقوت وغالة.
والقوت: ج أقوات؛ ما يأكله إلا . وبقت به

وَبِأَن نَسَكْتَ وَسَقَى عَبِيدَ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ لَمَنْ
يُدْهَشُونَ أَعْيُنَنَا بِلَمْعَدِ ذَهَبِ أَوْسَمَتِهِمْ وَرِيقِ
حَخَّارَتِهِمْ وَأَطَالِسِ^(١) مَلَأْسِهِمْ، أَمْ بَأَن نَصْرُخَ
مُتَظَلِّمِينَ مُدَّيْنٍ فَيَسْعُثُوا إِلَيْنَا بِاتِّعَافِهِمْ حَامِلِينَ عَلَيْنَا
سُيُوفَهُمْ وَسَائِكِ^(٢) خِيُولِهِمْ فَتَسْحَقُ أَجْسَادُ نَسَائِكَ
وَصَغَرْنَا وَتَسْكُرُ الْأَرْضُ مِنْ مَحَارِي دِمَائِنَا^٤ . .

مَدُّ يَدِكَ يَا يسوعُ اسْقَوِي وَارْحَمْنِي لِأَنَّ يَدَ
الطَّلُومِ قَوِيَّةٌ عَلَيْنَا، وَأَرْسَلَ الْمَوْتَ لِيَقُودَنَا إِلَى اسْقُورٍ
حَيْثُ نَنَامُ بِرَاحَةٍ مُخْفُودِينَ بِظِلِّ صَلِيبِكَ إِلَى سَاعَةِ
مَحِيئَتِكَ الثَّانِيَةِ، لِأَنَّ الْحَيَاةَ لَيْسَتْ حَيَاةَ عِبْدِنَا، بَلْ هِيَ
طُلْمَةٌ تَتَسَاوَقُ فِيهَا الْأَشْيَاخُ الشَّرِيرَةُ، وَوَدَّ تَدْتُ فِي
جَوَابِهِ لَتُعْدِينَ الْمُجِيفَةَ وَلَا الْآيَاتِمْ أَيَّامَ عِبْدِنَا، بَلْ
هِيَ أَسْيَافٌ سَنِينَةٌ يَحْفِيهَا لَيْلٌ بَيْنَ لُحْفٍ مُضَاحَعَةٍ
وَيُشْهَرُهُ الصَّبَاحُ فَوْقَ رُؤُوسِنَا عِنْدَمَا تَقُودُنَا مَحَنَةً
سَقَاءً إِلَى الْخُقُولِ تَرْتَفِ يَا يسوعُ بِهَدْيِهِ الْخُمُوعِ

(١) أَطَالِسُ جَمْعُ صَبْلٍ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ كَسَاءٌ أَحْصَرَ بَيْنَهُ

الْحَوَاصِ مِنَ الْمَشِيخِ وَالْعُلَمَاءِ

٢ سَائِكُ جَمْعُ سَائِكَةٍ كَقَوْلِهِمْ سَائِكَةُ الْخَيْلِ

وبينما هذه الأصوات تتصاعدُ من كُلِّ ناحية
وتتدفقُ كهدير الأمواج تُثمَّ تصيغُ في بهواء، جاء أحدُ
الكهنة وقبض على يوحنا وأسلمه لشرطة فقادوه إلى
دار الحاكم، ولما استنطقوه لم يُحِث بكلمةٍ لأنَّهُ مدَّكر
أن يسوع كان سكوناً أمام مضطهديه، فأرلوه إلى
سجنٍ مُظلمٍ حيثُ دام سكيةً مُتكنناً على الحائط
لحجري

وفي صبح النهار التالي جاء والدُ يوحنا وشهد
تمام الحاكم بخون وحيدته قائلاً: «لأنما سمعته يهدي
في وحدته يا سيدي، وينكلم عن أشياء غريبة لا
حققة لها، فكنم سهر الليالي فدا حد السكور باندص
مجهولة، مُبادياً أحيلة الطلعة بأصواتٍ مُحيفة تُفرون
تعاريم لعزافيس المُشغوردين سل فتيل الحَي،
يا سيدي، فقد حاسوه وعرفو الحداث عاقته إلى
عالم بعيد، فكسوا نحاظوه ولا نُحيث، وإن تكنم
جاءت أقواله مُنسية»^(١) لا علاقة لها بأحاديثهم سل

ثمّه فهي أدري التمس بالسلاح بفسيه عن لمدرك
حسنيّة، فقد شاهدته مرّاب بصر إلى لأفق بعين
زحاحيتين حامدتين وسمعته فتكلماً بشعب^(١) عن
الأشجار والحدود والرّهير والنخوم، مثمما بتكلمه
الأطمدل عن صعائر لأموار سار زهاب الدبر ومد
حاصمهم بالأمس فحتقر شكهم وتعندهم، كقراً
بقداسة معيشهم وهو محزون يا سيني، ولكنه
شقوق عني وعلى ثمّه، فهو يغول^(٢) في أيام
لشيخوحة ويدرف عرق حبه من أحل الخضور عني
حاحسا، فرأف به برافك س، وعمر حنونة بعسرك
حنو الوالدين^(٣).

أفرح عن نوحك، وشاع في تلك السوحي
حنوته، فكك عيب يدكرويه ساحرين بأقواله،
والصباي ينظرون إليه بأعني أسفة وزلاب لسماء
شؤون غريبة في الإنسان، فهي قد جمعت في هذا
الفتى بين حمال الزحمة وحنال الشّعور، وقاربت

(١) شعب: بوليه.

(٢) يغول: من عال يعول. وقر أسباب العيش

بين أشعة عيَّه اللطيفة وظلِّمة نفسِه المَريضَة.



بين تلك المَروج والرَّوابي الموشَّاة بالأعشاب
والزُّهور، كان يُوحنا يجلسُ بقُرب عُجُولِه المنصرفة
عن متاعِب ابنِ آدَم بطيبِ المَرعى، وينظرُ بعَيْنين
دامعتين نحو القرى والمزارع المُنثَّرة على كَتفي
الوادي مُردِّداً هذه الكلمات بتهديدات عميقة: أنتم كثار
وأنا وحدي، فقولوا عني ما شئتم، وافعلوا بي
ما أردتم، فالذئاب تفرسُ النعجة في ظلِّمة الليل،
ولكن آثار دِمانها تبقى على خصباء الوادي حتى يجيء
الفجرُ وتطلع الشمسُ.



أسئلة

- ١ - كيف أشار جبران إلى وحدة الوجود؟ أعط أمثلة؟
- ٢ - ماذا قصد المؤلف برماد الأجيال والنار الخالدة؟ وما علاقة هذا العنوان بالتقمص؟
- ٣ - ما الفرق بين الأزل والأبد؟
- ٤ - ماذا أراد جبران بقوله: الفاصلة بيني وبينى؟
- ٥ - اشرح ما هي الفوارق بين الذات المقتبسة والذات المعنوية في هذه العبارة: «نسي ذاته المقتبسة والتقى ذاته المعنوية»؟
- ٦ - كيف عبّر المؤلف عن الحب الحقيقي في «مرثا البانية»؟
- ٧ - تأثر جبران بأسلوب الإنجيل. أعط أمثلة؟
- ٨ - اشتهر جبران بصوره الرمزية. اشرح بعض هذه الصور؟
- ٩ - قال جبران: إن الحب سبيل الاتحاد، كيف تفسر هذا القول؟

- ١٠ - إلى م يرمز جبران بالنعجة والذئب والشمس في نهاية «يوحنا المجنون»؟
- ١١ - في هذا الكتاب تمجيد للطبيعة قارن بين التمجيد هنا والتمجيد في «المواكب»؟
- ١٢ - اذكر أمثلة على ركافة أسلوب جبران في التعبير المعقد؟
- ١٣ - «نظر نحو العلاء ومن عينيه الدموع تستدرّ الدموع» هل ترى أن هذه العبارة سليمة. وكيف تعيد كتابتها إن لم تكن صحيحة لغوياً؟
- ١٤ - ما علاقة عنوان «عرائس المروج» بموضوعات الأفاصيص؟
- ١٥ - ما هي النعوت التي تضعف طاقة الكلمة التعبيرية؟ أعط بعض الأمثلة؟
- ١٦ - امتاز جبران بأنسنة الأشياء. أين ظهرت هذه الأنسنة وكيف؟
- ١٧ - قيل: إن جبران يرسم في كتاباته بقدر ما يرسم في لوحاته فهل هذا صحيح؟ أيد رأيك بالبرهان؟
- ١٨ - هل ثمة علاقة بين يوحنا المجنون وخلييل الكافر في «الأرواح المتمردة»؟

مكتبتنا

فهرس الكتاب

- ٥ حياة جبران
١٩ التعريف بالكتاب

عرائس المروج

- ٣٣ رماد الأجيال والنار الخالدة
٥٧ مرتا الباتية
٨٠ يوحنا المجنون
١١٠ أسئلة
١١٢ الفهرس